مجلة بحوث
كليـــــــــــة الآداب

سلسلة إصدارات خاصة

الحوار مع الآخر

مفهومه وأهم أصوله وآدابه

دراسة تنظيرية تأصيلية فى ضوء الإسلام

إعـــــداد
د / جمال الحسينى أبو فرحة
مدرس علم الكلام والمذاهب والأديان
جامعة قناة السويس

يوليو ٢٠١١

Web site:http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

قال الله تعالى

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

النحل (125)

مُقَدِّمَة

إن حوارا من غير أصول كسفينة من غير ربان لن تصل إلى وجهتها أبدا ، وحوارا من غير آداب كسفينة من غير شراع، قد تضل طريقها، وقد تصل بغيتها ولكن بجهد جهيد وفي وقت طويل.

فإذا غاب الحوار، كليا أو جزئيا: باختلال أصوله، أو فساد آدابه؛ وجدت الشائعات الزائفة، والافتراضات المسبقة، والأحكام العامة، والمخاوف والظنون، طريقها إلى الذات وإلى الآخر؛ فينحصر التعايش ويذوي وينعدم! ويتمهّد الطريق لمنطق السنان على حساب منطق اللسان!

وسلامة القصد عندئذ وحدها لا تكفي فلا بد من إصابة الطريق وسلامة الراحلة!

و الحوار ليس مجرد وسيلة للتعايش مع الآخر، مع ما يجره ذلك من نفع للطرفين، ولكنه وسيلة لتحصيل المعرفة والعلم؛ بل إن من العلماء – كسقراط- مِن ذهب إلى أن "العلم لا يُعلَّم؛ ولا يُدوَّن في الكتب، بل يُكشف بطريق الحوار"[1].

ولقد اهتم الإسلام بالحوار واعتبره طبيعة إنسانية لا يمكن التنكر لها؛ قال الله تعالى:[2]{وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}، كما اهتم بأصوله وآدابه كما سيأتي بيانه مفصلا في دراستنا هذه؛ ويتجلى احتفاء القرآن بالحوار أن حملت سورة من سوره اسم: "المجادلة".

وقد آثرنا في عنوان دراستنا هذه أن نحددها بالحوار مع الآخر ليخرج منها حوار الإنسان مع نفسه وهو حوار سابق ومصاحب وتال لحواره مع غيره؛ وله أصول وآداب يهتم بها علم النفس وعلى وجه الدقة علم البرمجة اللغوية العصبية (**NLP**).

ويشير المولى عز وجل إلى أهمية هذين النوعين من الحوار للوصول للحقيقة في قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا".. سبأ: ٤٦.

ومقصدنا بالآخر هنا الآخر بمعناه الشامل المطلق من كل قيد.

---

(١) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ١/ ٣٩١.

(٢) الكهف: ٥٤.

ومن الجدير بالملاحظة أن أصول الحوار وآدابه تختلف من حوار لآخر، فلكل حوار طبيعته ومتطلباته منها، وهو ما يجعل من مسألة حصر أصول الحوار وآدابه من خلال الاستقراء ليست أمرا هينا، وهو ما جعلنا نصرح بأن حديثنا سيشمل بعضا من أهم الأصول والآداب فقط ولن يشملها جميعا، وستكون لنا عناية بالحوار الديني بشكل خاص.

وهذه الأصول والآداب مما يدرك بالفطر السليمة والأذهان الصافية، وإنما كان النص عليها لإلزام المعاند وتنبيه الغافل.

كما يجدر بنا هنا بيان الفرق بين الأدب والأصل فقد شاع الخلط في ذلك عند جمهور من الباحثين؛ والفرق المعتمد في هذه الدراسة هو أن الأصل متى اقتضاه الحوار لزمه وإلا اختل وانهار؛ أما الأدب فإذا تطلبه الحوار ولم يُلتزم به فيمكنه الاستمرار بل الإثمار إن تحمل طرف طرفا.

د/ جمال الحسيني أبوفرحة

gamalabufarha@yahoo.com

الحوار بين اللغة والإصطلاح :

إن كل من مادة: حور، ومادة حير[٣] له في اللغة عدة معان[٤] لها ارتباطها الوثيق بالمعنى الاصطلاحي للحوار والذي يعبر عن كنه الحوار المثمر؛ ومن أهمها:

- **الرجوع**[٥]؛ يقول تعالى[٦] "إنه ظن أن لن يحورَ"؛ ويقول النبي ﷺ:[٧] "من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك فقد حار عليه"؛ **وبهذا المعني:** فإن الحوار في الاصطلاح: سؤال يطرح وجواب يرجع عليه؛ ودليل يقدم، ورد يرجع إليه.
- **المجاوبة والتجاوب**؛ قال تعالى:[٨] "وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ..... قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا"؛ **وبهذا المعني:** فإن الحوار يتطلب وجود طرفين على الأقل يجيب بعضهما على بعض.
- **البياض**، تقول العرب: "قد حُرت القميص أحوره" إذا غسلته ونظفته ؛ والحواريات: النقيات الألوان والجلود لبياضهن؛ " والحَوَر كذلك: "خشبة يقال لها البيضاء لبياضها"؛ وقيل إنما سمي المحور من البياض لأنه بدورانه ينصقل حتى يبيض؛ وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون" لأنهم كانوا قصّارين: يعملون في الصباغة وتبييض الثياب؛ **وبهذا المعني**: فالحوار المثمر لابد فيه من الشفافية، ونقاء الطوية.

---

(٣) رغم أن جذر كلمة ((الحوار)) هو (حور) لا (حير) إلا أن حديثنا هنا عن مادة (حير) فلأن حروف العلة في العربية ينوب بعضها عن بعض.

(٤) انظر كل من مادة: حور، ومادة:حير في كل من: الجوهري: الصحاح، ابن دريد: جمهرة اللغة، الزبيدي: تاج العروس، ابن منظور: لسان العرب.

(٥) والحَوْر: هو الرواح، انطلاقا من قاعدة القلب المكاني، وانطلاقا من الاشتقاق الكبير الذي تحدث عنه ابن جني في كتابه الخصائص؛ وكل بمعنى: الرجوع.

(٦) الانشقاق: ١٤.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم ٣٥٠٨، ورقم ٥٦٩٨، وأحمد في المسند ٥/ ١٦٦.

(٨) الكهف: ٣٤: ٣٧.

- **الشيء الخالص**: فـ "الحُوَّارَى من الدقيق: ما نقي من لباب البُرّ"؛ والحوارى من الناس: "من خلص ونقى من كل عيب"؛ وقيل: سمي أصحاب عيسى عليه السلام بالحواريين لبياض قلوبهم ونقائها وخلوصها من الشوائب؛ **وبهذا المعنى**: فالحوار الصادق يقوم على الإخلاص للحق، والنقاء من الأغراض والأهواء.

- **الصاحب، الناصح، الناصر**: يقول النبي صلى الله عليه وسلم :(٩)"الزبير ابن عمتي، وحواريّ من أمتي"؛ وبهذا المعني؛ فالحوار الحق يقوم على الصداقة والنصح والمحبة.

- **مرتكز الدوران؛ وبهذا المعنى**: فإن الحوار لا يتحقق إلا إن كان له مرتكز ينطلق منه كما سنبين فيما بعد. **وبهذا المعني** كذلك: فإن الحوار الحق لا يكون خطابا من طرف واحد ولكن الحديث ينبغي فيه أن يدور بين كافة الأطراف المتحاورة، ومن هنا فأقل الحوار - في رأيي- ما اكتملت دائرته بعود الحديث إلى مبتدئه؛ بمعنى أنه يتكون من: حديث ورد، ورد على الرد.

- **العقل**: فالأحْوَر: العقل؛ تقول العرب: "ما يعيش فلان بأحْوَر" أي: ما يعيش بعقل يرجع إليه. **وبهذا المعنى**: فالحوار الحق هو الحوار الملتزم بكل ما يقتضيه العقل.

- **العمق والقعر**؛ ومن ذلك قول العرب: "هو بعيد الحَوْر" أي عاقل متعمق؛ **وبهذا المعنى**: فالحوار الحق هو الحوار المتسم بالعقلانية والتعمق.

- **نقض الشيء**؛ تقول العرب: "كار الرجل عمامته على رأسه إذا لفها، وحار عمامته إذا نقض لَيَّها". وتقول العرب: "الباطل في حَوْر"؛ وفي الحديث(١٠) "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر". أي من فساد أمورنا بعد صلاحها؛ **وبهذا المعنى**: فإن من الحوار المشروع النقد بغية النقض لكل ما هو باطل

- **شدة بياض البياض مع شدة سواد السواد**؛ فالحَوَر: "شدة بياض العين في شدة سوادها"، وهو المراد من قوله تعالى:(١١) "وَحُورٌ عِينٌ"؛ **وبهذا المعنى**: فالحوار الحق يبدأ مهما اختلفت الآراء وإن تباينت

---

(٩) رواه أحمد في المسند: ٣/ ٣٣.

(١٠) رواه مسلم في صحيحه برقم ٣٢٦٣.، والترمذي في سننه برقم ٣٤٣٩، والنسائي في سننه برقم ٥٥١٣. وابن ماجه برقم ٣٨٨٨، وأحمد في المسند ٥/ ٨٣.

(١١) الواقعة: ٢٢.

تباين الأبيض والأسود، **وبهذا المعنى** كذلك فإن الحوار الحق لا يخشى على الحق منه فالحق فيه يظهر ويتميز تميُّز الأبيض من الأسود.

- **الامتلاء والكثرة؛** فيقال تحيّر المكان بالماء: أي امتلأ، وتحيَّر شباب المرأة: إذا بلغ الغاية، وتحيَّرت الجَفْنة (القدر) إذا امتلأت دسما وطعاما؛ والحَيَر والحِيَر: الكثير من المال والأهل؛ والحائر: مجتمع الماء؛ **وبهذا المعنى:** فالحوار الحق هو الحوار الممتلئ بالأفكار والرؤى، ولو عند طرف واحد من أطرافه، كما سيأتي بيانه.

- **التحير والوقوف والتردد؛** فيقال: تحير الماء في المكان: وقف وتردد كأنه لا يدري كيف يجري؛ **وبهذا المعني**: فالحوار الصادق لا يبدأ بإعلان نتائجه قبل أن يبدأ؛ فصاحبه في حيرة من الحق وبحث عنه، أو على الأقل لابد أن يكون ظاهره كذلك.

- **الغيم،** فالحَيْر والحَيَّر: الغيم ينشأ مع المطر **وبهذا المعنى:** يوجد الحوار حيث يوجد الحير، فإن لم يود الحير تظاهر صاحب الحوار بوجوده.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقول: **إن الحوار المثمر في الاصطلاح هو: مجاوبة** بين طرفين على الأقل: **متسمة** بالعقلانية والتعمق. . **تهدف** إلى الوصول إلى الحقيقة، والنقد لكل ما هو باطل لنقضه. . **تنطلق** من الإخلاص للحق، والنقاء من الأغراض والأهواء.

أهم أصول الحوار :

* الأهلية المعرفية، أو العلمية.
* تحرير محل النزاع.
* التثبت.
* المساواة بين المتحاورين في فرصة إبداء الرأي.
* حسن الاستماع للمتحاور معه.
* الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة.
* تجنب المصادرة على المطلوب.
* التفرقة بين الرأي وصاحبه.
* ألا تتناقض الأدلة المزعومة.
* أن تتناسب قوة الاعتقاد مع قوة الدليل.
* تجنب استخدام العبارات الحماسية عوضا عن الدليل.
* تجنب إصدار الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة.
* تجنب استخدام التكافؤ المتوهَّم بين كلمتين أو عبارتين.
*تجنب جمع المسائل في مسألة واحدة.
*تجنب حصر الجواب في وجهين.
* تجنب استخدام صيغ الإمكان والاستحالة بطريقة غير صحيحة.
* تجنب استخدام صيغ الضرورة بطريقة غير صحيحة.
* تجنب استخدام أدوات التعميم بطريقة غير صحيحة.
* تجنب المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار.

تمهيد:

وأصول الحوار يمكن اختزالها بالمقولة الشهيرة: "إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مدعيا فالدليل". وهذان المبدآن عبر عنهما القرآن الكريم في قوله تعالى: "قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين"(١٢). وقوله تعالى: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"(١٣).

---

(١٢) آل عمران:٩٣.

(١٣) البقرة: ١١١، النمل: ٦٤، وانظر الأنبياء:٢٤.

* الأهلية العلمية أو المعرفية[١٤]:

وتتحقق بأمرين:

الأول: أهلية بموضوع الحوار.

الثاني: أهلية بأصول الحوار وآدابه.

ويكفي أن تتحقق الأهلية العلمية أو المعرفية بموضوع الحوار عند طرف واحد من أطراف الحوار؛ حتى يثمر الحوار ثمرته، كالحوار بين العالم والمتعلم، والطبيب والمريض، والقاضي والشاهد . . .الخ. وهو حوار فحواه التساؤل.

فإن تساوى المتحاوران في تلك الأهلية وصف الحوار بالمناظرة[١٥] وذلك أن المناظرة في اللغة تعني المماثلة[١٦]؛ فكل مناظرة حوار وليس كل حوار مناظرة.

ووجوب الأهلية العلمية والمعرفية المتعلقة بموضوع الحوار يعبر عنه قوله ﷺ: "إن أمام الدجال سنين خداعة: يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها

---

(١٤) فكل من العالم والطبيب والقاضي لديه أهلية علمية لا يناظره فيها طرف الحوار الآخر؛ والشاهد لديه أهلية معرفية بما يشهد عليه تقود القاضي إلى حكم دون آخر ولا تتوفر هذه الأهلية المعرفية للقاضي غالبا، وكذا المريض فلديه أهلية معرفية بما يشعر من شكوى تقود الطبيب في تشخيصه للمرض و تحديد علاجه ولا تتوفر هذه الأهلية للطبيب في غالب الأمر.

(١٥) فإن اشتد تباين الآراء وضل الحوار وحمي سمي الحوار مجادلة، يقول ابن منظور: "الجَدَالة: الأرض لشدتها.... والجَدَل: الصرع. وجدَله جَدْلا وجَدَّله: صرعه على الجَدَالة ....والجَدَل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها....و.... الجدل: شدة الخصومة". لسان العرب، مادة جدل، ٣/ ٩٨: ٩٩. . ويقول الراغب الأصفهاني: "الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة". المفردات في غريب القرآن: مادة جدل، ص٨٩. وهو ما يشير إليه قوله تعالى على لسان قوم نوح: "قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا" هود: ٣٢. من ثمة فكل مجادلة حوار وليس كل حوار مجادلة وهو ما يشير إليه قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما" المجادلة: ١. فنجده تعالى يسمي المجادلة حوارا.

(١٦) قال الجرجاني: "المناظرة لغة: من النظير، أو من النظر بالبصيرة". التعريفات، ص ٢٦٠.

الرويبضة؛ قيل: وما الرويبضة؟ قال: الفويسق يتكلم في أمر العامة"[١٧] وفي رواية: "قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرجل التَّافِهُ"[١٨]؛ كما يعبر عن وجوب هذه الأهلية العلمية في الحوار قوله ﷺ: "إذا توسِّد[١٩] الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[٢٠].

وفي قصة الرجل الذي أصابته جنابة في سفر وقد شج فأمره بعضهم بالاغتسال فمات فقال ﷺ:[٢١] "قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال".

كما يعبر عنها قوله تعالى:[٢٢] "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون". وقوله تعالى:[٢٣] "ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون". وقوله تعالى:[٢٤] "ولا تقف ما ليس لك به علم".

---

(١٧) رواه أحمد في المسند،٣/ ٢٢٠، ٢/ ٢٩١، ٣٣٨.

(١٨) رواه ابن ماجة في الباب ٢٤ من كتاب الفتن.

(١٩) أي : أسند وفوض الأمر.

(٢٠) رواه أحمد في المسند، ٣/ ٣٦١ والبخاري في صحيحه في الباب ٢ من كتاب العلم..

(٢١) رواه أبو داود في الباب ١٢٥ من كتاب الطهارة؛ وابن ماجة في الباب ٩٣ من كتاب الطهارة.

(٢٢) النحل: ٤٣.

(٢٣) آل عمران: ٦٦.

(٢٤) الإسراء: ٣٦.

* تحرير محل النزاع[٢٥]:

أي تخليصه من مما لا علاقة له به، وإدخال ما ظن أنه خارج عنه وهو داخل فيه؛ أو بعبارة أخرى هو تحديد الجزئية المحددة التي اختلف فيها المتحاورون. وبدون هذا الأصل يتحول الحوار إلى مشهد ساخر لحوار الطرشان.

ومن مظاهر غيبة تحرير محل النزاع: أن يثبت محاور شيئا لا ينفيه الآخر، أو ينفي شيئا لا يثبته.

ومن وسائل تحقيقه:

- **تفنيد وجهة النظر المرفوضة قبل طرح الأدلة على وجهة النظر المقبولة.**
- **التعامل مع الخبر الصحيح باعتباره دليلا غير كاف على صدق دعوى المستدل به.**
- **الاستيثاق من تحقق التفاهم اللغوي السليم.**

أولا: تفنيد وجهة النظر المرفوضة قبل طرح الأدلة على وجهة النظر المقبولة[٢٦].

فإن لم يلتزم بذلك وقع السامع في حيرة الاختيار بين رأيين لكل منهما أدلته، وهو ما قد يعني أن الأمرين سواء، وليس لأحدهما مزية على الآخر.

ومن الأمثلة المشاهدة في ذلك: حوار حول أهلية شخص ما لعمل ما: فطرف ينظر إلى مميزاته؛ ساخرا من مدى غفلة محاوره عنها، أو متهما له بتعمد إغفالها؛ مع أن الطرف الآخر لا ينازع في ذلك؛ وإنما ينظر في الجهة المقابلة مسترسلا في الحديث عن عيوب هذا الشخص والتي يسلم بها الطرف الأول كذلك؛ ومن هنا فعند تأمل المسألة نجد أن مميزات هذا الشخص وعيوبه ليست هي المحل الحقيقي للنزاع؛ وإنما محله هل هذا الشخص بهذه المواصفات: الإيجابية والسلبية معا، يصلح لهذا العمل أم لا؟ بمعنى هل عيوب هذا الشخص لها

---

(٢٥) وهو في حقيقته أصل ينطوي على أصول عديدة بعضها متشعب إلى أصول فرعية عدة؛ وكان من الممكن أن نجعل كل فرعية تحت هذا العنوان الجامع أصلا مستقلا ولكني آثرت جمع المتفرقات التزاما بالمصطلح الذي يجمعها.

(٢٦) أما إذا انتقد وجهة نظر الآخر، ولم يطرح بديلا؛ سمي الحوار **مماراة**، قال ابن منظور: "المرية: الشك والجدل ..... والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة" لسان العرب، ١٤/ ٦٣؛. وأما قوله تعالى: "فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا". فقال فيه الفخر الرازي: "والمراد من المراء الظاهر أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد، بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه، فوجب التوقف وترك القطع" التفسير الكبير، ٢١/ ١٠٧.

علاقة بوظيفته؟ وهل مميزاته لها علاقة بوظيفته؟ وأيهما الأرجح في ميزان مؤهلات الوظيفة: عيوبه أم مميزاته؟ وهل نحن مجبرين على تحمل هذا الشخص بهذه العيوب وإن قلّت؟ وهل هناك بديل آخر عنه؟.

ويروى في ذلك أن النبي ﷺ خرج على طائفة من أصحابه وهم يتناظرون في القدر فقال:(٢٧) "بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض؛ بهذا هلكت الأمم قبلكم".

ويروى أن جماعة من الصحابة "ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها؛ حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: مهلا يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض؛ إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا؛ بل يصدق بعضه بعضا؛ فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"(٢٨).

فضرب القرآن بعضه ببعض، ليكذب بعضه بعضا هو من باب طرح الأدلة على وجهة نظر دون تفنيد ما يناقضاها.

ثانيا: التعامل مع الخبر الصحيح باعتباره دليلا غير كاف على صدق دعوى المستدل به.

فكثيرا ما لا يكون الخلاف مع الآخر في صحة الخبر وإنما في دلالاته وفهومه؛ ورغم ذلك تصر بعض الأطراف على الاستشهاد بالخبر المختلف حول فهمه دون تعرض لدلالاته المختلفة وفهومه المتعددة؛ ودون بيان لسبب إعراضها عن هذه الدلالات والفهوم موحية بأن مخالفيها معرضون عن الحقّ: إما جهلا به وإما جحودا له وهم له عالمون!

---

(٢٧) رواه ابن ماجة في الباب العاشر من المقدمة.

(٢٨) رواه أحمد في المسند٢/ ١٨١. وانظر ١٨٥.

فحوار حول حكم تارك الصلاة المفروضة مثلا وقد وردت فيه نصوص صحيحة عن النبي ﷺ منها قوله ﷺ:[٢٩] "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"؛ وقوله ﷺ:[٣٠] "إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر". وقوله ﷺ:[٣١] "لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة":

نجد طرفا يكتفي بالاستشهاد بهذه النصوص للتدليل على كفر تارك الصلاة – كفر ملة- وكأن مخالفه لا علم له بهذه النصوص أو أنه معرض عنها!.

والرأي لدي هو النظر في نوع الكفر المنسحب على تارك الصلاة في كل حالة؛ فللكفر أنواع [٣٢]، وكذا في في نوع الترك المتصف به؛ فللترك أسباب، ولكل سبب حكم: فمن تركها كسلا غير من تركها جحودا لوجوبها؛ ومن تركها مكرها غير من تركها كسلا، وللإكراه درجات وللكسل درجات، ولكل درجة حكم ...الخ.

وقد استفاض الرازي في كتابه "حجج القرآن"[٣٣] في بيان أن كل الفرق الإسلامية قد استشهدت بالقرآن الكريم؛ ورغم ذلك كان لكل منها فهمه المتعارض مع غيره؛ ولا شك من قبول النص - في أحيان عديدة- لعدد من الدلالات المختلفة والفهوم المتغايرة؛ ولا شك كذلك من أن بعض فهوم النص غير مقبولة وبعضها مقبولة وهو ما فصله علم أصول الفقه؛ ومن ثمة فإن كثيرا من الخلاف نجد أصحابه مصيبين فيما أثبتوا، مخطئين في نفي ما عليه الآخر؛ فأكثر الجهل يقع في النفي لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه.

وبناء على ذلك عبر الفقهاء عن احترامهم للخلاف بقاعدة تقول: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد.

---

(٢٩) رواه مسلم في الباب ١٣٤ من كتاب الإيمان، وأبو داود في الباب ١٥ من كتاب السنّة، والترمذي في الباب ٩ من كتاب الإيمان، وابن ماجة في الباب ١٧ من كتاب الإقامة، والدارمي في الباب ٢٩ من كتاب الصلاة.

(٣٠) رواه النسائي في الباب ٨ من كتاب الصلاة، والترمذي في الباب ٩ من كتاب الإيمان، وابن ماجة في الباب ٧٧، و ٧٨ من كتاب الإقامة والباب ٢٣ من كتاب الفتن، وأحمد ٥/ ٣٤٦، ٣٥٥.

(٣١) رواه مالك في الموطأ برقم ٥١ من كتاب الطهارة.

(٣٢) ومنه: كفر النعمة؛ وكفر الملة؛ وكفر الحجة؛ والكفر بمعنى البراءة، والكفر بمعنى التوبة، والكفر بمعنى الزراعة. . كما سيأتي بيانه مفصلا عند حديثنا عن (الاستيثاق من تحقق التفاهم اللغوي السليم).

(٣٣) وقد طبعته دار ابن زيدون ببيروت، د.ت. . وقد حققه ودرسه: شمران سركال يونس العجلي، في رسالته للماجستر بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام ١٩٨٠م.

وانطلاقا من هذه القاعدة يقول سفيان الثوري:[٣٤] " إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه.....[وقال] ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحدا من أخواني أن يأخذ به".

ويقول يحيي بن سعيد الأنصاري:[٣٥]"ما برح أولي الفتوى يفتون فيحل هذا ويحرم هذا، فلا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله، ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه" .

ويقول ابن تيمية:[٣٦] "مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة، فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده، من كان فيها أصاب الحق فله أجران، ومن كان قد اجتهد فأخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور له، فمن ترجح عنده تقليد الشافعي، لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي، ونحو ذلك".

وهو فهم منبني على اعتقاد أن سبل الحق عديدة؛ يقول تعالى:[٣٧] "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" ، ويقول تعالى:[٣٨] "يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام" ، ومعنى هذا أن هناك سبل شتى توصل إليه تعالى، وهذه السبل المتعددة القويمة تمضي نحو وجهة واحدة، فكأنها طريق واحد، لذلك عبر عنها في أكثر من آية بلفظ المفرد نحو: "سبيلي[٣٩]، أو سبيله[٤٠]، أو سبيل ربك[٤١]"؛ فالحق واحد لا يتعدد، ولكن السبل تتعدد في الوصول إليه وفي إدراكه؛ فالمسلمون تختلف مواقعهم من قبلة صلاتهم، وتختلف اتجاهاتهم نحو القبلة إلا أن وجهتهم واحدة، وتلتقي جميعًا في نقطة واحدة هي الكعبة المشرفة.

---

(٣٤) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، ٢/ ٦٩.

(٣٥) انظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٠.

(٣٦) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ٢٠/ ١٦١: ١٦٢.

(٣٧) العنكبوت:٦٩

(٣٨) المائدة:١٦

(٣٩) انظر: يوسف: ١٠٨.

(٤٠) انظر: المائدة: ٣٥.

(٤١) انظر: النحل: ١٢٥.

ثالثا: الاستيثاق من تحقق التفاهم اللغوي السليم.

يقول ابن تيمية: "وكثير من النزاع يعود إلى إطلاقات لفظية، لا إلى معان عقلية"[٤٢].

فكثير من الخلافات سواء الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية تنشأ من الخلاف حول فهم ما يقوله الآخر[٤٣].

ومن هنا تظهر أهمية التأكد من فهم الآخر لما نقول وفهمنا لما يقول؛ حتى لا نتنازع ودعوانا واحدة، فنقع فيما حذر منه النبي ﷺ بقوله: [٤٤] "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة".

وقد كانت السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها كما يروي عنها البخاري في صحيحه قدوة في ذلك فكانت: "لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَه"[٤٥].

ومن أهم أسباب هذا النزاع الوهمي ما يلي[٤٦]:

أولا: الجهل بلغة الآخر.

ثانيا: الخلط بين المعاني اللغوية.

---

(٤٢) مجموع الفتاوى: ١٢ /١١٥.

(٤٣) راجع: - ابن الشجري: ما اتفق لفظه واختلف معناه.

- مقاتل بن سليمان: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم.

- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن.

- جوزيف أوكونر وجون سيمون: مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية، ص ص ٢٣٥: ٢٨٦.

(٤٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣، ٥٣٠.

(٤٥) انظر : الباب (٣٥) من كتاب العلم.

(٤٦) وهذا النزاع الوهمي يشير إليه المثل الإنجليزي القائل: For every word there is a listener and probably my words don't suit your ears. So please don't accuse me of being ambiguous. أي: لكل كلمة أذن، ولعل أذنك ليست لكلماتي، فلا تتهمني بالغموض!

ثالثا: الخلط بين المعاني الاصطلاحية.

رابعا: الخلط بين المعاني المجازية.

خامسا: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

سادسا: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي.

سابعا: الخلط بين معاني الألفاظ والعبارات في اللهجات المختلفة.

ثامنا: الغموض اللغوي الناشئ عن الحذف:

أ- عدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث.

ب- استخدام صيغ المقارنة دون ذكر المقارَن به.

ج- استخدام المصادر.

تاسعا: اشتراك عود الضمير.

١ – الجهل بلغة الآخر:

والترجمة بإجماع المتخصصين(٤٧) ما هي إلا انعكاس لفهم المترجم للنص، أي هي نوع من التفسير، ولا يمكن لأية ترجمة مهما كانت دقتها أن تنقل جميع دلالات النص الأصلي القريبة والبعيدة؛ وذلك أن الكلمة في اللغة قد تحمل أكثر من معنى وظل للمعنى(٤٨)، والترجمة إنما تأتي بلفظ ليعبر عن أحد هذه المعاني فقط – وهو

---

(٤٧) انظر لمزيد من التفصيلات حول إشكاليات الترجمة: د. جمال الحسيني أبوفرحة: النبي الخاتم ص٢١٢.

(٤٨) والمقصود بظل المعنى: تلك الفروق المعنوية بين المترادفات التي جعلت كثيرا من علماء اللغة ينكرون وجود الترادف الكامل بين أية لفظتين في اللغة؛ كأبي هلال العسكري وابن فارس وغيرهم.

[انظر: أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص ١٢-١٣؛ أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص ٦٥ ؛ ومقال أ.عبد الرحمن بن حسن المحسني: الترادف بين الإنكار والإثبات على الموقع الإلكتروني التالي:

http://almenhaj.net/makal.php?linkid=348

ما يرشحه السياق من وجهة نظر المترجم- ولا يمكن أن يعبر عنها جميعًا[٤٩]؛ وإذا به يعبر عنه وعن معان أخرى وظلال معنوية جديدة، وربما أخذ أحد هذه المعاني الجديدة ليترجم مرة أخرى إلى لغة أخرى بلفظ يعبر

وهي فروق معنوية لا تستطيع الترجمة إظهارها؛ فمثلا كلمة سيف نجد لها في العربية عشرات المترادفات كلها تترجم إلي الإنجليزية بـ Sword رغم أن لكل منها ظلالا معنوية لا توجد للأخرى، فلفظة: (السيف) بها إيماءة إلى حدة النصل، ولفظة: (الهندي) بها إيماءة إلى جودة التسليح، ولفظة: (الحسام) بها إيماءة إلى معنى الحسم، ولفظة: (البيض) تشير إلى لون يحتاج السياق إلى إبرازه؛ كما في قول عنترة بن شداد في عبلة:

(ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم).

(٤٩) فمثلا كلمة كافر لها في العربية عدة معان لغوية تدور حول (الستر والتغطية):

- فإن كان الستر والتغطية لنعمة الله بعدم أداء شكرها، كان الكفر في الاصطلاح كفر نعمة؛ كما في قوله تعالى: "واشكروا لي ولا تكفرون" (البقرة: ١٥٢)؛ وقوله : "لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد" (إبراهيم: ٧)؛ وقوله: "ليبلوني ءأشكر أم أكفر" (النمل: ٤٠)؛ وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ unthankful.
- وإن كان الستر والتغطية عن ركن من أركان الإيمان بجحده بالقلب أو باللسان دون إكراه؛ كان الكفر في الاصطلاح كفر ملة؛ كما في قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" (البقرة: ٦)؛ وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ infidel
- وإن كان الستر والتغطية للحجة بإنكارها، كان الكفر في الاصطلاح كفر حجة؛ كما في قوله تعالى: "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" (البقرة:٨٩)؛ وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ denier.
- وإن كان الستر والتغطية للفصل والمباعدة بين اثنين، كان الكفر في الاصطلاح بمعنى البراءة؛ كما في قوله تعالى: "ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض" (العنكبوت: ٢٥)، وكما في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه: "إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم" (الممتحنة: ٤). وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ disowner.
- وإن كان الستر والتغطية للذنب، كان الكفر في الاصطلاح بمعنى التوبة كما في قوله تعالى: "ذلك كفارة أيمانكم" (المائدة:٨٩). وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ repentant

عنه وعن معان جديدة أيضًا وظلال أخرى للمعنى وهكذا، ومع كثرة الترجمة عن لغة من لغة إلى لغة تبعد العلاقة بين النص الأصلي والنص النهائي مهما كان حرص المترجم(٥٠).

- وإن كان الستر والتغطية للبذرة في التراب، كان الكفر في الاصطلاح بمعنى الزراعة والكافر بمعنى المزارع؛ كما في قوله تعالى: "يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار" (الفتح: ٢٩)؛ وقوله: "كمثل غيث أعجب الكفار نباته" (الحديد: ٢٠). وحينئذ تترجم كلمة كافر بالإنجليزية بـ farmer.

وواضح أنه لا علاقة بين كل من الكلمات الستة الإنجليزية: (repentant - infidel - disowner - unthankful -farmer – denier) التي ترجمت كلمة كافر العربية إليها؛ رغم أن كلمة كافر تعنيها جميعا؛ فإذا أخذنا كلمة من هذه الكلمات وترجمناها إلى لغة أخرى، فهذه الكلمة الجديدة لن تعني كل تلك المعاني المذكورة لكلمة كافر.

(٥٠) وربما كان ذلك سبب اختلاف كثير من تراجم الكتاب المقدس حتى في أهم الموضوعات العقدية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ فالمقام لا يتسع إلا للتمثيل فقط: الفقرة (١٣) في الأصحاح (٢١) من سفر إشعياء والتي يرى فيها كثير من المسلمين بشارة بالنبي العربي محمد ﷺ نجدها هكذا في التراجم اليهودية والمسيحية المختلفة:

- "وحي من جهة بلاد العرب". . وهي ترجمة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.
- "نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية". . وهي ترجمة كتاب الحياة المطبوع مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.
- "قول على العربة". . وهي ترجمة طبعة دار المشرق اعتماد بولس باسيم.
- "The burden upon Arabia". . أي "عبء أو عناء على جزيرة العرب" وهي ترجمة نسخة الملك جيمس King James Version.
- "An oracle concerning Arabia" . . أي "وحي أو مبلغ الوحي أو مكان مهبط الوحي متعلق ببلاد العرب"، وهي الترجمة العالمية الجديدة الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس العالميةNew International Version.
- "A message about Arabia" . . أي "رسالة عن بلاد العرب"، وهي ترجمة نسخة انجليزية اليوم Today's English Version .
- "Message intitule: Dans la Steppe" أي رسالة بعنوان: "في الفيفاء" أي الصحراء؛ وإن كان السياق بعد ذلك يعين أن الحديث عن بلاد العرب التي يسكنها بنو قيدار، وهي ترجمة الجمعية الكتابية الفرنسية.
- وفي التوراة العبرية: "משא בערב: مسا بعراف". أي "قول أو نبوءة بجزيرة العرب".

أضف إلى ذلك أن لكل لغة خصائصها الفريدة؛ فالأبجديات اللغوية لا تتساوى في عددها، ومن ثمة تحل الحروف محل مشابهاتها في الأسماء مما ينشأ عنه كثير من الخلط والغموض.

ورغم هذه الأهمية لتعلم اللغات الأجنبية، إلا أننا لا نعدم من يجادل في ذلك من منطلقات يزعمها بعض هؤلاء دينية[٥١]، والدين منها براء؛ فتعلم اللغات الأجنبية من المنظور الإسلامي فرض كفاية: إن قصرت فيه الأمة أثمت جميعا -كل بحسب موقعه- وإن قام به العدد الكافي من المسلمين سقط عن الباقين[٥٢].

---

(٥١) انظر: www.hespress.com/?browser=view&EgyxpID=8695

(٥٢) وتثبت الفرضية وتتحقق الكفاية في ذلك بالآتي:

- تبليغ الرسالة:

يقول تعالى: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا" الأعراف:١٥٨.. ويقول النبي ﷺ : "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود" رواه مسلم.. . ولما كان محمد ﷺ خاتم النبيين، ولقي ربه ولم يؤمن به كل العالمين؛ حمّل الله تعالى أمته مسؤولية الدعوة إلى العالمين؛ قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" البقرة:١٤٣.. أي ليكون الرسول عليكم شهيدا بأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وتكونوا شهداء على الناس بأنكم قد أبلغتموهم الرسالة؛ وهو ما يقتضي تعلم لغات أهل الأرض جميعًا لأداء الرسالة إليهم.

- نقل كل ما هو مفيد لأمتنا من حضارة الآخر وثقافته:

ومن الأقوال المأثورة في ذلك: "اطلبوا العلم ولو في الصين" وهو ما يقتضي تعلم لغة أهل الصين، وكذا لغة كل الحضارات والثقافات الأخرى.

- معرفة توجهات الآخر الفكرية بشأننا:

حتى يمكننا أن نتعامل معها بشكل صحيح؛ ومن الأقوال المأثورة في ذلك: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم".

ومن أجل كل ذلك كان عند النبي ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية ويكفيه هم الترجمة منها وإليها، ولما لم يكن عنده من يعرف لغة اليهود أمر النبي ﷺ "زيد بن ثابت" بتعلم لغة اليهود معللا ذلك بقوله : "إني والله ما آمن يهود على كتابي" راجع البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد.. فتعلمها رضي الله عنه وأتقنها، واستغنى به النبي ﷺ عن المترجمين اليهود الذين لم يأمنهم على كتابه. . ومقتضى أمره ﷺ لزيد هنا هو أمر لنا بأداء مثل ما أمر به زيد من تعلم للغات الآخر وإتقانها؛ حتى تتحقق كفاية أمتنا من المتخصصين في كل لغة لأداء ما سبق من مهام.

٢ – الخلط بين المعاني اللغوية:

- فإن كلمة: **"أخت"** في قوله تعالى لمريم عليها السلام:[٥٣]"يا أخت هارون" لها أكثر من معنى لغوي؛ والخلط بينها ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في هذه الآية خطأ تاريخي؛ وذلك أن بين مريم أم المسيح عليهما السلام، وهارون أخي موسى عليهما السلام مئات السنين.

وأصل الأخوة التساوي في الصفة؛ ومن ذلك قوله تعالى:[٥٤] "كلما دخلت أمة لعنت أختها" أي مساويتها في الكفر، ومن ذلك أيضا قوله تعالى:[٥٥]"وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها" أي مساويتها في الدلالة، وسمي الأخ أخا لمساواته أخاه في انتمائه إلى أب واحد أو أم واحده، وروي إنه كان في زمانها عابد يسمى هارون، وكانت رضي الله تعالى عنها في غاية العبادة، فلما جاءت بعيسى عليه السلام من غير زوج واتهمها رضي الله عنها بنو إسرائيل بالزنا، قيل لها: "يا أخت هارون" أي في العبادة "ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا"[٥٦] متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله، فلما حصلت المساواة بين مريم رضي الله تعالى عنها وبين ذلك العابد سميت أخته على القاعدة. .

وصدق الشاعر:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه ... فتلك له عند الملمّات أعوان

فأقبل على درس اللغات وحفظها ... فكل لسان في الحقيقة إنسان

(٥٣) مريم: ٢٨.

(٥٤) الأعراف:٣٨.

(٥٥) الزخرف:٤٨.

(٥٦) مريم:٢٠.

وقد يكون المقصود بهارون هنا النبي أخا موسى عليهما السلام، وقد كان الأكبر واعتبر منذ شبابه قائدا لقبيلته – بني لاوي- وكاهنهم،[٥٧]؛ فما العجب في أن يقال لمريم "يا أخت هارون"، في هذا الموقف - أي يا شبيهته- وقد كان له عليه السلام هذه المكانة الدينية في بني إسرائيل[٥٨].

و قيل: كان في ذلك الزمان فاسق يسمى هارون، فلما اعتقدوا فيها رضي الله عنها التهمة جعلوها أخته، أي في ذلك الفعل القبيح[٥٩].

وقيل إنها كانت من ذرية هارون عليه السلام وإنما قيل لها: "يا أخت هارون" كما يقال: "يا أخا العرب" أي يا واحدًا منهم، ويا أخا قريش، ويا أخا هذيل ....الخ[٦٠].

- وكذلك فإن كلمة **"ابن وابنة"** قد يقصد بها البنوة المباشرة التي تكون بين الأب وابنه وقد يقصد بها البنوة غير المباشرة بين الإنسان وجد من جدوده؛ وهذا الخلط بين المعاني اللغوية هو ما جعل بعضا من اليهود والنصارى يخطئون القرآن في قوله تعالى:[٦١] "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها"؛ ويقولون: إن مريم

---

(٥٧) ويحكي سفر الخروج في الأصحاح الأربعين أن موسى عليه السلام أمر برسمه هو وذريته كهنة على بني إسرائيل، وبذلك تأسست الكهانة اللاوية، وأصبح هارون عليه السلام أول رئيس كهنة على كل بني إسرائيل.

(٥٨) وهنا قد يثار تساؤل هو: لماذا لم توصف مريم بأخت موسى؟! وعلة ذلك في رأيي لأن نص التوراة المعتمدة عندهم يربط بين مريم وهارون أكثر مما يربط بين مريم وموسى،عليهم السلام؛ وذلك لأنه أخوها الأكبر وهو من تربت معه، أما موسى عليه السلام فلم تره مريم إلا وليدا ثم نبيا!

(٥٩) وهذه الأقوال أوردها القارافي في كتابه: الأجوبة الفاخرة، ص٦٢: ٦٣.

(٦٠) ويشفع لذلك وصف مخطوطات قمران للمسيح عليه السلام بأنه مسيح هارون وإسرائيل؛ يقول سفر دستور جماعة قمران: "ستحكمهم الأنظمة الأساسية التي بها بدأ أعضاء الجماعة بالتعلم حتى مجيء النبي، ومسيح هارون وإسرائيل". ١/ ٩١. فنجد هذا السفر ينسب المسيح لهارون، مثلما ينسب القرآن مريم أم المسيح لهارون، عليهم السلام أجمعين؛ وقد كتب هذا السفر - كما يرى أندريه دوبون في توطئته له (١/ ٦٩)- قبل ميلاد المسيح عليه السلام بعدة عقود؛ ومن ثمة فدعوى تأثره بالعقائد الإسلامية منتفاة.

(٦١) التحريم:١٢.

ليست ابنة عمران؛ لأن عمران أبو موسى عليه السلام، وبين موسى عليه السلام ومريم رضي الله عنها مئات السنين[٦٢].

والإنسان يضاف لجده البعيد كما يضاف لأبيه؛ فمثلا: كل من العهد القديم والعهد الجديد، وكذلك العالم كله اليوم يسمي اليهود "بني إسرائيل" مع أنهم ليسوا أبناءه بل أحفاد الأحفاد، وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام، ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أبيه مرة وإلى أحد أجداده أخرى؛ وخاصة إذا كان ذا شأن عظيم.

- وكلمة مثل **(ظن)** يمكن أن يفهم منها الدلالة على الشك ويمكن أن يفهم منها الدلالة على اليقين؛ فالدلالة على الشك كما في قوله تعالى "إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين"[٦٣] ؛ والدلالة على اليقين كما في قوله تعالى "ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم موافعوها ولم يجدوا عنها مصرفا"[٦٤] وقوله: "الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون"[٦٥] وقوله: "إنيّ ظننت أني ملاق حسابيه"[٦٦]؛ وهذا المعنى الثاني عندما غاب عن فهم بعض الناس فهموا من الآيات السابقة أن الإيمان لا يحتاج إلى اليقين ويكفي فيه الشك.

- وكلمة مثل **(دهن)** لها معنيان في العربية: أحدهما العطر، والآخر الشحم؛ ومن هنا فهم بعض الناس من حديث النبي ﷺ : "ثلاث لا ترد: الوسائد والدهن واللبن"[٦٧]، أن المقصود بالدهن هنا المعنى الثاني؛ فنفروا من

---

(٦٢) والعجيب أن الكتاب المقدس لم يذكر قط اسم أبي مريم عليها السلام، ولم يذكر الكتاب المقدس نسب المسيح من جهة أمه قط؛ وإنما ذكره من جهة يوسف النجار خطيب مريم مرتين: مرة في الأصحاح الأول من إنجيل متى، ومرة في الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا؛ فكيف يخطئون القرآن في أمر لا علم لهم به؟!!! وكيف يهمل كتابهم المقدس مثل هذا الأمر؟!!! وألا يعني ذلك تحريفه وأنه ضاع منه شيء؟!!! ولو سكتوا عن مهاجمة القرآن في ذلك لكان أستر لحالهم.

(٦٣) الجاثية:٣٢.

(٦٤) الكهف: ٥٣.

(٦٥) البقرة:٤٦.

(٦٦) الحاقة:٢٠.

(٦٧) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٧٩٠) في كتاب الأدب.

سنة نبينا ﷺ ورأوا أن تطبيق السنة أمر صعب أحيانا بل ومضر بالصحة؛ والحقيقة أن المراد بالدهن هنا العطر ليس إلا.

- **والواو العاطفة تجمع بين أجزاء الشيء مرة وبين صفاته أخرى**؛ وكثيرا ما يحدث الخلط بين هاتين الواوين؛ فالواو في قولنا محمد مسلم وعربي، تجمع بين صفات الشيء؛ ومن ثمة؛ فيصح وصفنا لمحمد مرة بأنه عربي، ومرة أخرى بأنه مسلم.

أما قولناك "إن الخمسة اثنان وثلاثة" فلا يصح معه قولنا"الخمسة اثنان"، أو "الخمسة ثلاثة"؛ كالمثال السابق لأن الواو هنا لعطف الأجزاء لا الصفات.

- **وأحيانا يكون للفظ الواحد معان عدة بالنظر إلى تصريفه، أو باعتبار تذكيره وتأنيثه، أو كونه اسم فاعل أو اسم مفعول**؛ مثل:

لفظ (العدل) فيأتي مصدرا مرة وصفة أخرى.

ولفظ (تقوم) يأتي خطابا للمذكر مرة وللمؤنث الغائبة أخرى.

ولفظ (المختار) فيأتي اسم فاعل مرة واسم مفعول أخرى.

٣- الخلط بين المعاني الاصطلاحية:

فمصطلح كـ **(الوهابية)**[٦٨] يقصد به شيئان: الأول: دعوة سنية مشهورة ومعروفة، قامت في وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والآخر: فرقة خارجية إباضية سابقة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ظهرت في المغرب في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، على يد الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[٦٩]، وتكاد لا تعرف في يومنا هذا حتى لكثير من العلماء؛ وقد وجد أعداء الوهابية السنية بغيتهم في ذلك، حيث أتوا

(٦٨) راجع تفصيلات ذلك: د. محمد بن سعد الشويعر: تصحيح خطأ تاريخيّ حول الوهابية.

(٦٩) المتوفى عام ١٩٧هـ على رواية، وعام 190هـ على رواية أخرى.

بفتاوى سنية صدرت في حق الفرقة الخارجية الإباضية وروَّجوا لها ليفهم الناس أن المقصود بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكذلك مصطلح كـ **(المارونية)**[٧٠] يقصد به فرقتان، أحدهما متوافقة مع الإيمان الكاثوليكي[٧١] نشأت في القرن الخامس الميلادي وكثيرا ما تنسب للقديس مارون الأنبا، ويقدر أتباعها اليوم في لبنان وسوريا بالمليون نسمة أما في بقية دول العالم فليس لهم حصر دقيق؛ والأخرى مضادة للإيمان الكاثوليكي[٧٢] نشأت في أواخر القرن السابع الميلادي وكثيرا ما تنسب للقديس يوحنا مارون، ولم يعد لها اليوم وجود. وما حدث مع الوهابية حدث مع المارونية من تعمد أعدائهم الخلط بينهما وإصباغ عقائد الثانية على الأولى تنفيرا للكاثوليك منها.

ومصطلح كـ **(السنة)**[٧٣] يقصد به في الاصطلاح معان ثلاثة:

ففي اصطلاح علماء الحديث، السنة هي: "ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية[٧٤]". وذلك أن ما يعنيهم إنما هو توثيق تاريخه ﷺ مفصلا.

وفي اصطلاح علماء أصول الفقه، السنة هي: "ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي[٧٥]". وذلك أن ما يعنيهم إنما هو تعيين مصادر الأحكام.

---

(٧٠) راجع، جمال الحسيني أبوفرحة: الكنيسة المارونية، الواقع والتاريخ. ص ١٢: ١٦، ٣١، ٤٠، ٥١.

(٧١) تعتقد في السيد المسيح عليه السلام طبيعتين تامتين ومشيئتين غير متضادتين.

(٧٢) تعتقد في السيد المسيح عليه السلام طبيعتين ومشيئة واحدة.

(٧٣) والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أم سيئة. . راجع: ابن منظور: لسان العرب مادة (سنن).

(٧٤) يضيف العلماء على ما ذكرته من تعريف للسنة في اصطلاح علماء الحديث قولهم: "أو خُلُقية"؛ صحيح إن الخُلُق قد يوجد ولا يظهر لا في قول ولا في فعل ولا في تقرير؛ ولكن وجوده لا يُعلم إلا بالقول أو الفعل أو التقرير؛ ومن هنا رأيت حذف هذه الكلمة من التعريف.

(٧٥) فليس كل فعله وقوله وتقريره ﷺ يصلح أن يكون مصدرا من مصادر التشريع.

وفي اصطلاح الفقهاء، السنة هي: "ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها"؛ وتطلق أحيانا في مقابلة البدعة؛ وذلك أن ما يعنيهم إنما هو إصدار الأحكام.

ولا شك أن الخلط بين هذه المعاني يؤدي إلى إشكالات كثيرة، فإذا تم الخلط بين مفهوم السنة عند الفقهاء ومفهوم السنة عند الأصوليين فسيتأدى ذلك إلى جهالات كبيرة منها اعتبار أن كل ما ورد عن الرسول ﷺ من سنة قولية أو فعلية أو تقريرية إنما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها؛ وإذا تم الخلط بين مفهوم السنة عند المحدثين ومفهوم السنة عند الفقهاء فسيؤدي ذلك إلى جهالات عظيمة منها الدعوة إلى التأسي به ﷺ في صفاته الجسمية مثلا.

ومصطلح كـ **(الصوفية)**[٧٦] يقصد به في الاصطلاح أحد معان ثلاثة:

الأول: علم السلوك، أو التصفية: أي تصفية النفس من العوالق الدنيوية، أو علم التخلية والتحلية أي تخلية النفس من أمراضها الباطنة، وتحليتها بالمكارم الإنسانية.

الثاني: فلسفة ظاهرها كفر[٧٧] وحقيقتها مختلف في تأويلها؛ ومن أعلامها: ابن عربي، والحلاج، وابن الفارض، وابن سبعين، وذو النون المصري وغيرهم.

الثالث: جماعات تسمى بالطرق الصوفية عديدة لا يجمعها جامع عقدي أو سلوكي؛ كل منها يعطي لغيره من الطرق الصوفية الأخرى كافة الأحكام الشرعية: فيحكم على بعضها بالكفر، وبعضها بالفسق، وبعضها بالتبديع، وبعضها بالخطأ، وبعضها بمخالفة الأولى، وبعضها بالصحة، ويكيل الثناء لبعضها؛ بل ويجهل حقيقة بعضها.

واللافت للنظر، أن جل أصحاب الطرق الصوفية لم يقرأ الفلسفة الصوفية ويجهل أعلامها ومقولاتها، ولا تستهويه قراءتها؛ بل ولا يفهمها.

---

(٧٦) واختلف في أصل كلمة "صوفي": فقيل نسبة لأهل الصُفَّة: وهم فقراء المهاجرين رضي الله عنهم، وقيل نسبة للصوف ولبسه، وقيل أنها مشتقة من الصفاء.

(٧٧) فيظهر منها القول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود....الخ.

ومن ثمة فالخلط بين هذه المعاني الاصطلاحية لمصطلح "صوفية" يعد في رأيي سببا رئيسا في تأخر إصلاح التصوف وتنقيته من كل ما يخالف الإسلام[٧٨].

وكيف نساوي بين صوفية انتقصوا التوحيد فأصبح للأولياء في عقيدتهم فعل وتصريف مع الله!!! وصوفية لم يكتفوا بتوحيد الإلوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، حتى أضافوا إليه توحيد الشهود!!! وصوفية خلطوا بين وحدة الشهود ووحدة الوجود؛ فقالت طائفة منهم: بالاتحاد، وطائفة بالحلول، وطائفة بوحدة الوجود!!!

ومن هنا فمن يبدأ حواره مع أصحاب الطرق منتقدا فلسفة التصوف متصورا أنها تمثل عقيدتهم، لا شك أنه لن يجد عقولا واعية لما يقول، أو آذانا صاغية.

وكذلك من يبدأ حواره مع أصحاب طريقة صوفية انطلاقا من بدع علمها عن طريقة أخرى، لن يقابل إلا بالاستهجان من محاوره من هذه الاتهامات غير المبررة.

وكذلك الحوار انطلاقا من بدع طريقة، أو فلسفة صوفية مع من رأى أن التصوف ما هو إلا علم للسلوك وكفى؛ فهو حوار عبثي.

٤- الخلط بين المعاني المجازية:

- فعبارة **(ابن الله)** يمكن أن يفهم منها مجرد الدلالة على محبة الله والقيام بحقوقه كما نقول: (أبناء الوطن - ابن الصحراء- ابن النيل- أبناء الواجب) وكل من الوطن والصحراء والنيل والواجب لا يعقل أن يكون لهم أبناء، ولا يمكن لعاقل أن يظن ذلك، وهذا المعنى المجازي يؤكد عليه يوحنا في إنجيله بقوله:[٧٩]"أولاد الله أي المؤمنون به"، كما يؤكد عليه عدم اختصاص المسيح عليه السلام بهذا اللقب في العهدين القديم والجديد: ففي العهد الجديد ورد على لسان المسيح عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل[٨٠]: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"؛ ومن

---

(٧٨) وهو ما وعاه كثير من علمائنا كابن تيمية رغم ما ينسب إليه من عداوة للتصوف، انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى: ج ١١ بعنوان: "التصوف"، ج ١٠ بعنوان: "علم السلوك".

(٧٩) ١: ١٢.

(٨٠) إنجيل يوحنا ٢٠: ١٧.

العجيب أن الصلاة الربانية عند النصارى والتي يكررونها كل يوم قائلين:[٨١]"أبانا الذي في السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك". تؤكد على عدم اختصاص المسيح عليه السلام بهذا اللقب، وتؤكد في نفس الوقت على هذا المفهوم المجازي للبنوة؛ وفي العهد القديم ورد على لسان موسى عليه السلام مخاطبا بني إسرائيل:[٨٢] "أنتم أولاد الرب إلهكم"، وفي العهد القديم كذلك ورد على لسان آساف مخاطبا قضاة بني إسرائيل:[٨٣]"وبنو العلي كلكم"؛ وقريب من هذا المعنى وردت نصوص إسلامية ففي الحديث عن رسول الله ﷺ : "الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله"[٨٤]. ولكن الخلط بين المعاني المجازية هو ما جعل النصارى يزعمون بنوة المسيح لله بمعنى مجازي آخر للبنوة[٨٥] وهذا المعنى المجازي يمثلون له ببنوة الثلج للماء، رغم أن حقيقة الثلج هي حقيقة الماء: (ذرتان هيدروجين وذرة أكسجين)، وإذا كنا لا نخطئ من يقول: "الثلج ابن الماء" ومن يقول: "الثلج هو الماء" ومن يقول: "الثلج ثالث ثلاثة: الماء والبخار، والثلج"، فكذلك بحسب عقيدتهم لا يخطئ من يقول: "المسيح ابن الله"[٨٦]، ومن يقول: "المسيح هو الله"[٨٧]، ومن يقول: "المسيح ثالث ثلاثة"[٨٨]؛ وهو ما يتنافى مع نصوص كتابهم المقدس سابقة الذكر.

---

(٨١) كتاب الصلوات القبطي، انظر: http://st-takla.org/Prayers-Slawat/Pray-Archive-01-10/Coptic

(٨٢) سفر التثنية ١٤ :١-٢:

(٨٣) سفر المزامير ٨٢ :٦.

(٨٤) رواه أبو يعلى.

(٨٥) فكل من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت يؤمن "بإله واحد ذو ثلاثة أقانيم (أي أشخاص)، والثلاثة متساوون في الجوهر متميز كل منهم في الخواص"- انظر القس إبراهيم عبد السيد: الفروق العقدية ص ١٢- وهم الأب والابن والروح القدس. ثم يختلفون بعد ذلك حول هذا الشخص المتكون من ثلاثة أشخاص؛ هل له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، وفعل واحد؛ أم أكثر؟! راجع د. جمال أبوفرحة: الكنيسة المارونية الواقع والتاريخ ٤١: ٤٢.

(٨٦) وهو ما يحكيه عنهم القرآن في سورة التوبة: ٣٠.

(٨٧) وهو ما يحكيه عنهم القرآن في سورة المائدة:٧٢.

(٨٨) وهو ما يحكيه عنهم القرآن في سورة المائدة: ٧٣.

٥- الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي[٨٩]:

- فعبارة **(إخوان مسلمون)** مثلا يمكن أن يفهم منها الدلالة على حركة إسلامية معاصرة، ويمكن أن يفهم منها مجرد الدلالة على الإخوة الإسلامية؛ فإذا تخيلنا شخصين على علم بوجود هذه الحركة، وسأل أحدهما الآخر: هل أنت من الإخوان المسلمين؟ . . فأجاب: لا. . وسمعهما شخص ثالث لا علم له بهذه الحركة؛ لا شك أنه سيعتقد أن المسئول غير مسلم!

- وكذلك كلمة **"الروح"** فيقصد بها في اللغة الروح الذي تكون به حياة الجسد أما في اصطلاح القرآن الكريم فلها أكثر من معنى[٩٠]؛ والخلط بين ما هو لغوي وما هو اصطلاحي هو ما جعل كثيرا من العلماء يذهب إلى تحريم البحث العلمي في الروح الإنساني بناء على قوله تعالى:[٩١] "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا". وهو خطأ ناشئ أيضا عن الخلط بين المعاني المختلفة لكلمة: "أمر".

فالرأي الشائع أن المقصود بالروح في الآية الكريمة هو الروح الذي يكون به حياة الجسد، وأن المعني بقوله: "من أمر ربي" أي العلم بالروح من شأنه واختصاصه وحده تعالى؛ ومن ثمة فلا جدوى من البحث العلمي في الروح؛ بل إن ذلك البحث ليعد تكذيبًا للقرآن وتطاولا على الله تعالى من وجهة نظر أصحاب هذا التفسير.

وقد عارض هذا الرأي آخرون وقالوا إن الإسلام لا يحجر على الفكر ولا يمنع قط من البحث في أي مجال من مجالات العلم طالما كان هناك فائدة ولو محتملة من ورائه؛ وإن وضع الإسلام لذلك بعض الضوابط والآداب لكنها لا تحول بحال دون قيام أي بحث علمي.

وقد ذهب بعض هؤلاء إلى أن المقصود بالروح هنا هو القرآن الكريم واستدلوا على ذلك بالسياق الذي وردت هذه الآية فيه بدءًا من قوله تعالى:[٩٢]"وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين

---

(٨٩) والخلط اللغوية بجميع صوره تتعاظم فرصته عندما يتميز معنى بشهرة ليست لغيره.

(٩٠) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٩٣٩: ٣٩٤٠. وابن منظور: لسان العرب، مادة (روح).

(٩١) الإسراء:٨٥.

(٩٢) الإسراء: ٨٢.

إلا خسارا" إلى قوله:[٩٣]"ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا" ؛ كما استدلوا على ذلك بأن القرآن الكريم سمي روحًا في آيات قرآنية كثيرة، منها: قوله تعالى:[٩٤]"وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان"؛ بل سمي الوحي بصفة عامة في القرآن روحًا؛ كما في قوله تعالى:[٩٥] "ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده"

ولم يمانع آخرون من أن يكون المقصود بالروح هنا جبريل عليه السلام فقد سمى القرآن الكريم جبريل عليه السلام روحًا كما في قوله تعالى:[٩٦]"نزل به الروح الأمين"، وقوله،عن مريم عليها السلام[٩٧] " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا" وعلى ذلك يكون قوله: "قل الروح من أمر ربي" أي تنزله على الرسول ﷺ من أمره تعالى، وهو معنى قوله تعالى:[٩٨]"وما نتنزل إلا بأمر ربك"

وذهب آخرون إلى أن المقصود بالروح هنا ملك من الملائكة في السماء السابعة يقوم على يمين العرش صفًا واحدًا والملائكة صفًا وهو المشار إليه في قوله تعالى:[٩٩]"يوم يقوم الروح والملائكة صفًا" وعلى ذلك فإن المقصود من قوله: "قل الروح من أمر ربي" أي أمر التكوين: (كن)؛ يقول تعالى:[١٠٠]"إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون" ، والمعنى أن هذا الروح على عظمته مخلوق من العدم كبقية الخلق بالأمر الإلهي (كن).

وقيل إن المقصود بالروح هنا هو عيسى عليه السلام؛ فقد وصف القرآن الكريم عيسى عليه السلام بأنه روح؛ يقول تعالى:[١٠١]"إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" وعلى ذلك

---

(٩٣) الإسراء: ٨٩.

(٩٤) الشورى: ٥٢.

(٩٥) النحل: ٢.

(٩٦) الشعراء:١٩٣.

(٩٧) مريم:١٧.

(٩٨) مريم:٦٤.

(٩٩) النبأ:٣٨.

(١٠٠) يس: ٨٢.

(١٠١) النساء:١٧١.

يكون المقصود من قوله: "قل الروح من أمر ربي" أي أمره "كن" كما سبق بيانه، والمراد أنه مخلوق كسائر الخلق وليس الأمر كما يحسبه النصارى الذين ينكرون كونه عليه السلام من أمره تعالى "كن" ويدعون إلوهيته.

أما إذا فهمنا الروح هنا بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى:(١٠٢) "وأيدهم بروح منه" أي برحمة منه، فإن المعني من قوله: "قل الروح من أمر ربي" أي رحمته من شأنه وحده؛ فهو "يدخل من يشاء في رحمته"(١٠٣)، و"يختص برحمته من يشاء"(١٠٤).

ولا مانع أخيرًا في رأيي من أن يكون المقصود بالروح هنا ذلك المعنى الشائع وهو الروح الذي تقوم به حياة الجسد، والمقصود من قوله: "قل الروح من أمر ربي" أي من أمره (كن)؛ فهو مخلوق بأمر التكوين؛ أما القول بأن المقصود من (أمره) أي العلم بالروح من شأنه واختصاصه تعالى وحده دون أحد من خلقه؛ فليس هناك ما يقطع بذلك حتى نحرّم البحث في علم الروح.

وأما القول بأن قوله تعالى"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" يشير إلى أن المقصود بالروح في الآية السابقة شيء لا يمكن للبشر علمه وبحثه ودرسه، شيء اختص الله بعلمه، فأقول إن هذا الرأي لا يدل عليه النص دلالة قطعية هذا فضلا عن أن يكون المقصود بما اختص الله بعلمه هو الروح الذي تكون به حياة الجسد حتى نقيم حكمًا شرعيًا بتحريم البحث في الروح؛ ومن ثم يبقى الأمر على الإباحة.

- وكذلك كلمة **(إله)** فلها معنى لغوي مشهور وهو (معبود)(١٠٥)، ومعنى اصطلاحي ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وهو (عابد) وشتان ما بين المعنيين؛ ففي العهد القديم ورد على لسان آساف

---

(١٠٢) المجادلة:٢٢.

(١٠٣) الشورى:٨.

(١٠٤) آل عمران:٧٤.

(١٠٥) أَلَهَ إلاهَةً وأُلوهَةً وأُلوهِيَّةً: عَبَدَ عِبادَةً، ومنه لَفْظُ الجلالة، واخْتُلِفَ فيه على عِشْرِينَ قَوْلاً وأَصَحُّها أنه عَلَمٌ غيرُ مُشْتَقٍّ، وأَصْلُه إِلهٌ، كفِعالٍ، بمعنى مَأْلُوهٍ، وكلُّ ما اتُّخِذَ مَعْبُوداً إِلهٌ عند مُتَّخِذِهِ، والتَّأَلُّه: التَّنَسُّكُ، والتَّعَبُّدُ.

وقد قرئ: ويَذَرَكَ وإِلهَتَكَ، وقرأ ابن عباس: ويَذَرَكَ وإِلاهَتَكَ، بكسر الهمزة، أَي وعبادتك؛ وهذه الأَخيرة عند ثعلب كأَنها هي المختارة، قال: لأَن فرعون كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ، فهو على هذا ذو إِلاهةٍ لا ذو آلِهة، والقراءة الأُولى أَكثر والقُرّاء عليها. قال ابن بري: يُقَوِّي ما ذهب إِليه ابن عباس في قراءته: ويذرك وإِلاهَتَك، قولُ فرعون: أَنا ربكم الأَعلى، وقوله: ما علمتُ لكم من إِله غيري.

أليس بقياس الأولى أن يعطي العبدُ العبدَ هذا الحق!

بل وبنص قوله ﷺ: [١٦٢]"تخلقوا بأخلاق الله"؛ وجب التخلق بهذا الخلق.

ويتجلى حسن الاستماع إلى الآخر في:

أ- عدم مقاطعة حديثه:

- **وإن تحدث بما نعرف**، ومن ذلك قول عطاء بن رباح:[١٦٣]"إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئا". ويقول:[١٦٤]"إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد؛ **ولذلك حكم عديدة منها**: إدخال السرور على المتحدث، سلامة السامع من العجب بنفسه، قد يقع في آخر كلام المتحدث ما يظهر منه فائدة جديدة غير متوقعة من حديثه.

- **وإن أطال الحديث**[١٦٥]، **أو تحدث بما يغضب**؛ وقد اشتهر الرسول ﷺ بهذه الميزة حتى وصفه المنافقون بأنه أذن؛ قال تعالى:[١٦٦] "ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير" أي هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه[١٦٧]؛ "بل إنه ﷺ لما جاءه عتبة بن ربيعة يساومه

---

(١٦٢) لم أجده في كتب السنة التسعة؛ وذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، في تفسير قوله تعالى:"ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا" من سورة النور. . وكذا ابن أبي العز الدمشقي، في شرح العقيدة الطحاوية، ٨٨/١. . بينما رده ابن القيم وحكم ببطلانه في مدارج السالكين، ٣/ ٢٢٧.

(١٦٣) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص ١٠٥.

(١٦٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٨٦.

(١٦٥) ولا تعارض بين أصل "المساواة بين المتحاورين في فرصة إبداء الرأي" وحديثنا عن "عدم مقاطعة حديث الآخر وإن أطال"؛ بمعنى أن تجاوز الآخر لحدود الأدب وإطالته في الحديث لا يعالج في الجهة الأخرى بتجاوز حدود الأدب بمقاطعة حديثه.

(١٦٦) التوبة: (٦١).

(١٦٧) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٠٣١/٤. وهو ما يعلمنا إياه ﷺ في قوله: "لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر". رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب.

على الرسالة ويعرض عليه الدنيا مقابل ترك تبليغ الرسالة[١٦٨]، مع ما في ذلك من إهانة له ﷺ واتهام له بصريح الكذب؛ لم ينتهره النبي ﷺ، ولم يغضب لكلامه، ولم يمنعه من إكماله، ولم يشح بوجهه عنه، بل كان رد النبي ﷺ على عتبة عندما قال له: "فاسمع مني حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. . أن قال: يا أبا الوليد اسمعْ". وعندما انتهى عتبة من كلامه، لم يبادره النبي ﷺ بالرد حتى استوثق من أنه قد أنهى كلامه، فقال له النبي ﷺ: "أفرغت يا أبا الوليد؟". قال: نعم. قال: اسمع مني. قال: افعلْ، وبدأ ﷺ يبين له حقيقة أمر الرسالة. وهنا نرى كيف أثمر هذا المنهاج النبوي في جعل عتبة يستمع إلى النبي ﷺ.

ب- الاستيثاق من أن الآخر ليس لديه رد على ما يطرحه المتكلم قبل الانتقال من نقطة لأخرى:

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك، ذلكم الحوار الذي دار بين ابن عباس رضي الله عنهما وبعض من الخوارج؛ بخصوص نقمتهم على الإمام (علي) رضي الله عنه؛ وفيه يقول ابن عباس: قلت: ماذا نقمتم عليه؟ قالوا: ثلاثاً. فقلت: ما هن؟ قالوا: حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى:[١٦٩]"إن الحكم إلا لله" - قال - هذه واحدة، ماذا أيضاً؟ قالوا: فإنه قاتل فلم يسب ولم يغنم [يقصدون موقعة الجمل وصفين]، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم - قال - قلت: وماذا أيضاً؟ قالوا: ومحا نفسه من إمرة المؤمنين [يقصدون في التحكيم الذي دار بين علي ومعاوية]، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين - قال - قلت أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟ قالوا: وما لنا لا نرجع؟

---

(١٦٨) "فقال يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم؛ **فاسمع مني** حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.... فقال له رسول الله ﷺ **يا أبا الوليد اسمع**، قال يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وان كنت تريد به شرفا، سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وان كنت تريد به ملكا، ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي ﷺ: **أفرغت يا أبا الوليد؟** قال: نعم. **قال: اسمع مني. قال: افعل**.....الخ".

ابن كثير: البداية والنهاية ٦١/٣.

(١٦٩) الأنعام: ٥٧؛ يوسف: ٤٠، ٦٧.

٦- الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي:

- فكلمة: **Crusade** والتي استخدمها الرئيس الأمريكي جورج بوش في بداية عهده في وصف حربه على ما أسماه بالإرهاب لها معنى لغوي في الإنجليزية هو: قام بحملة صليبية، ومعنى مجازي هو: قام بحرب عنيفة[١١٤]، ولكن عدم إدراكنا لهذين المعنيين أثار كثيرا من الخلاف والجدال حول نواياه.

- وكلمة: **"أخت"** في قوله تعالى لمريم عليها السلام:[١١٥]"يا أخت هارون" فلها معنى لغوي شهير ومعان مجازية، وإغفال ما هو مجازي ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في هذه الآية خطأ تاريخي، سبق بيانه . . ومن هذه المعاني المجازية: ما نجده في كثير من الثقافات حيث يُكنى من يتسمى باسم بكنية أشهر من تسمى به وعليه فكل من تسمت بمريم تكنى بأخت هارون وابنة عمران، لأنّ مريم الأولى هي أخت هارون النبي عليه السلام وابنة عمران؛ وهذا أمر معروف ومشهود؛ ومثاله عند العرب المسلمين أنهم يكنون كل من تسمى بـ "حسن" بـ "أبي علي"، نسبة للحسن بن علي رضي الله عنهما، وإن كان علي هو أبو الحسن رضي الله عنهما لا ابنه، وإنما كان العكس في الاستخدام لأن الأبوة هنا بمعنى النسب والانتماء لا بمعناها الحقيقي.

- وكلمة: **"ذبح"** الواردة في الحديث الشريف:[١١٦] " أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح"، كثيرًا ما أسيء فهمها، وتم الخلط بين معناها اللغوي ومعانيها المجازية.

كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) ورواه أحمد في المسند، والترمذي في صحيحه، والنسائي في السنن الكبرى، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في المعجم الكبير.

(١١٤) انظر مادة : Crusade في كل من:

- A S Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English.

- Atlas Global Center For Studies & Researches, Atlas Encyclopedic Dictionary.

(١١٥) مريم: ٢٨.

(١١٦) روى ابن هشام في سيرته عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: "اجتمع أشراف قريش يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ ؛ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط: سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا؛ فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه

والذبح له عدة معان:

الأول: وهو المعنى الأصلي للذبح: قطع العروق المعروفة في موضع الذبح من الحلق بالسكين.

الثاني: الهلاك، وهو مجاز، فإن قطع تلك العروق من أسرع أسبابه، وبهذا المعنى للذبح فسّر حديث الرسول ﷺ في ولاية القضاء: "من ولي القضاء.... فقد ذبح بغير سكين"(١١٧).

الثالث: التذكية، وهو مجاز أيضًا، ومن ذلك ما روي عن شريح -الصحابي- رضي الله عنه، أنه قال:(١١٨) "كل شيء في البحر مذبوح". وكذا ما روي عن النبي ﷺ من أنه قال:(١١٩) "إن الله ذبح كل ما في البحر لابن آدم".

الرابع: الإحلال: أي جعل الشيء المحرم حلالاً، وهو من باب المجاز كذلك، ومن ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: "ذبح الخمر: النينان والشمس"(١٢٠). والنّينان:جمع نون،وهي السمكة. ومعنى الحديث: أن وضع الملح والسمك في الخمر مع وضعها في الشمس يذبحها، أي يحولها خلاً فتصبح حلالاً.

ولا شك أن ما فهمه هؤلاء النفر من قريش من هذه الكلمة إنما كان معناها الأول أو الثاني لا غير؛ ومن ثمة كان رد فعلهم ما ذكرته الرواية من رهبتهم وروعهم، ولا شك كذلك أن المعنى الأول باطل والثاني مستبعد؛ وإنما قصد النبي ﷺ من ذلك: كفهم عن أذاه، دون أن يقول إلا صدقًا وحقًا.

رسول الله ﷺ قال: ثم مضى فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها؛ فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها؛ فوقف ثم قال: (أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح؛ فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا كأن على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول؛ حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً؛ فانصرف ﷺ ....الخ الحديث). حسنه الألباني، وقال عنه أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد: "إسناده صحيح".

(١١٧) رواه الترمذي في الباب ١ من كتاب الأحكام، وأبو داود في الباب ١ من كتاب الأقضية، وابن ماجة في الباب ١ من كتاب الأحكام، وأحمد ٢/ ٢٣٠، ٣٦٥.

(١١٨) رواه البخاري في الباب ١٢ من كتاب الذبائح.

(١١٩) أخرجه الدارقطني.

(١٢٠) رواه البخاري في الباب ١٢ من كتاب الذبائح.

وأقول: إن المعنى الأول باطل؛ لأن رسول الله ﷺ لم يذبح أحدًا لا في مكة ولا في غيرها اعتداءً عليه، أو إكراهًا له على الإيمان؛ وقد أبلغ الله تعالى رسوله ﷺ في القرآن الكريم بأنه "لا إكراه في الدين"[١٢١]. وبقوله:[١٢٢] "فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين". وتفسير الذبح بالمعنى الأصلي المتبادر له يتعارض مع ما عرف عنه ﷺ من خلق، وحكمة، ورحمة بالناس، شهد لها ربه وبرهن عليها؛ فقال:[١٢٣]"فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك".

أما المعاني المجازية للفظ الذبح فهي في جملتها مقبولة، ومنها راجحة ومنها مرجوحة.

وذلك أنهم وقد غمزوه ﷺ وعابوه، وشتموه، وهو يطوف بالبيت؛ فمن المقبول أن يهددهم بالهلاك: بأن يدعو الله عليهم كما فعل بعض السابقين من الأنبياء.

ومن المقبول أيضًا أن نقول: إنهم إذ فعلوا ذلك وقف ﷺ وأخبرهم بحقيقة رسالته، وأنها لا تستأهل ما قابلوه به فهو إنما جاءهم بالتذكية والتطهير مما هم فيه من الشرك، وبتحليل الطيبات وتحريم الخبائث.

وهذان المعنيان للذبح (التذكية، والإحلال) راجحان على المعنى المجازي السابق (الهلاك)؛ لأنهما يتفقان مع ما أثر عنه ﷺ من أنه كان يدعو لقومه بالهداية ولم يدع ﷺ طيلة حياته سوى على أفراد قلائل لعظيم ما جنوه على الإسلام والمسلمين؛ كما يتفق مع قول الرحمن الرحيم في حق نبيه الكريم:[١٢٤] "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

- وكلمة **(إبل)** لها معنى لغوي شهير ومعنى مجازي؛ والجهل بالمجازي جعل بعضا من غير المسلمين يزعم أن القرآن الكريم إنما هو من تأليف نبينا ﷺ.

---

(١٢١) البقرة:٢٥٦.

(١٢٢) النساء: ٨٢.

(١٢٣) آل عمران:١٥٩.

(١٢٤) الأنبياء: ١٠٧.

فقالوا: إن دعوة القرآن إلى تأمل عظمة خلق الإبل في معرض حديثه عن وصف الجنة، ثم الدعوة إلى تأمل عظمة خلق الكون من: سماوات مرفوعة، وجبال منصوبة، وأرض مسطوحة، في قوله تعالى:[١٢٥]"في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت". . إنما هو برهان على التشتت الفكري وعدم الترابط بين معاني آيات القرآن وتساءلوا عن علاقة السياق السابق واللاحق للفظة "الإبل" بها!.

ثم قالوا: إنما اختار محمد ﷺ "الإبل" على وجه الخصوص لأنها من مفردات البيئة الصحراوية التي عاش فيها؛ وخرجوا من ذلك بأن القرآن إنما جاء مصورًا للبيئة العربية القديمة، محصورًا بمعطياتها، ولا يمكنه أن يتعامل مع غيرها من بيئات لم يطلع عليها نبي الإسلام ﷺ؛ وهو ما لا يمكن قبوله في كتاب سماوي يعلن ختمه كتب السماء وعموم خطابه لأهل كل زمان ومكان.

وخطأ هؤلاء ناشئ عن جهل بالمعنى المجازي لكلمة "إبل" من جهة، وعدم الفهم الصحيح للسياق القرآني من جهة أخرى:

فكلمة "إبل" في اللغة: جمع مؤنث لا واحد له من لفظه، مفرده:"جمل أو بعير"؛ وقد جاء هذا المعنى في كتاب الله في قوله تعالى:[١٢٦]"ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين".

وكلمة "إبل" في المجاز تعني: "السحاب".

والمقصود بهذه الكلمة في هذا السياق - في رأيي- المعنيان معا: فإذا نظرنا للسياق السابق يترجح أحدهما، وإذا نظرنا للسياق اللاحق يترجح الآخر؛ وبطريقة تجعل الكلام ينتقل من دائرة رَد الشبهات (التشتت الفكري، والتقوقع داخل الصحراء) إلى الحديث عن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم:

فبالنظر إلى **السياق السابق** على لفظة "الإبل" يترجح – في رأيي- أن المقصود بالإبل هنا "الجمل أو البعير"؛ وإنما اختير الجمل هنا على وجه الخصوص تفسيرًا لقوله تعالى: "وسرر مرفوعة"؛ فكأن الدعوة إلى تأمل خلق "الإبل" إجابة على تساؤل: كيف نعتلي هذه السرر؟ . . والإجابة هي: كما نعتلي "الإبل"؛ فهي تبرك

---

(١٢٥) الغاشية : ١٠ : ٢٠.

(١٢٦) الأنعام : ١٤٤.

حتى يتمكن راكبها من ركوبها ثم تعتلي به؛ فهي تقوم مقام المصعد، والمصعد هو الوسيلة الأسهل والأعز لمن أراد أن يرتقي مرتفعا، مقارنة بالقفز، والتسلق، وصعود الدرج.

إضافة إلى ذلك فإن اختيار "الجمل" موضوعًا للتأمل هنا دون غيره من حيوان؛ فلأنه: يؤكل لحمه، ويشرب لبنه، ويبرك ويركب، وتحمل عليه الأحمال الثقيلة، ويسافر عليه المسافات البعيدة؛ وهي خصائص لعلها لا تجتمع لحيوان آخر.

وبالنظر إلى **السياق اللاحق** على لفظة "الإبل" يترجح أن المقصود بالإبل معناها المجازي وهو: "السحاب"؛ وذلك أن الآيات في هذا السياق يترجح - في رأيي- فهمها على أنها تحثنا على النظر فوقنا؛ لنرى عظمة الخلق في السحاب، ثم فيما فوقه من سماء، ثم النظر حولنا؛ لنرى عظمة الخلق في الجبال، ثم النظر أسفل منا؛ لنرى عظمة الخلق في الأرض؛ وهكذا لا يكون الخطاب هنا مقصورًا على الأمم التي عرفت الإبل واعتمدت عليها في معيشتها؛ بل يكون لكل الأمم؛ فالسحاب تقر بعظمة خلقه كل الأمم.

٧- الخلط بين معاني الألفاظ والعبارات في اللهجات المختلفة:

- فكلمة **"دفء"** تعني في لهجات عامة العرب "السخونة، أو نقيض حدة البرد"؛ بينما هي في لهجة أهل اليمن فتعني القتل[١٢٧]؛ وفي الحديث أن النبي ﷺ "أُتي بأسير يُرْعَد، فقال لقوم: اذْهَبُوا به فأَدْفُوه؛ فذهبوا به فقتلوه فَوَداه رسولُ الله ﷺ"[١٢٨] "أراد الإدفاء من الدفء، وأن يُدفأ بثوب، فحسبوه بمعنى القتل"[١٢٩]. ومن هنا كان كذلك الخطأ في قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لمالك بن نويرة كما تحكي كتب التاريخ[١٣٠].

---

(١٢٧) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة "دفأ".

(١٢٨) ذكره ابن منظور في لسان العرب في مادة: "دفأ" ولم أجده في كتب السنة التسعة.

(١٢٩)انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة "دفأ".

(١٣٠) يقول ابن الأثير "فأمر خالد مناديا فنادى: أدفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فظن القوم أنه أراد القتل، ولم يرد إلا الدفء، فقتلوهم". ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٥٨/٢.

- وكلمة **"وَثْبٌ"**: تعني: القفز عند عامة العرب، والقعود عند بعضهم؛ يقول ابن منظور:[١٣١]الوثب: القُعُود، بلغة حِمْير. يقال :**ثِبْ** أي اقْعُدْ. ودَخَلَ رَجُل من العرب على مَلِكٍ من ملوك حِمْيَر، فقال له الملكُ: ثِبْ أي اقْعُدْ، فوَثَبَ فتَكَسَّر؛ فقال الملك: ليس عندنا عَرَبِيَّة كعَرَبِيَّتكم؛ مَنْ دَخَلَ ظَفارِ حَمَّرَ أي تَكَلَّم بالحِمْيَرية.

- وكلمة **"صبأ"** تعني: "خرج من دين إلى دين آخر"[١٣٢]؛ ومن هنا كان اللبس الذي وقع فيه خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما بعثه النبيُّ ﷺ إلى بني جَذِيمة فدَعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صَبَأنا، صَبأنا. فجعل خالدٌ يقتلُ منهم ويأسِر[١٣٣]. وكأن بعض اللهجات العربية تفهم من الكلمة الخروج من الحق إلى الباطل خاصة وهو ما فهمه خالد بن الوليد؛ وبعضها يفهم منها مطلق الخروج من دين لآخر، وهو ما عناه بنو جذيمة وهو ما يشهد له حديث البخاري على لسان الأعرابية التي لقيها صحابيان في سفرهما فقالا لها:[١٣٤]"..... انطلقي إذا قالت: إلى أين؟ قالا إلى رسول الله قالت: الذي يقال له الصابيّ قالا هو الذي تعنين....فأتت أهلها وقد احتبست عنهم قالوا ما حبسك يا فلانة؟ قالت العجب! لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابيّ ففعل كذا وكذا....الخ".

-وكلمة **"قرء"** لها عدة معان في اللهجات العربية قال القرطبي: [١٣٥]"قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمي الحيض قرءا، ومنهم من يسمي الطهر قرءا، ومنهم من يجمعهما جميعا، فيسمي الطهر مع الحيض قرءا" وهذا الاختلاف هو ما جعل المفسرون ومن ثمة الفقهاء يختلفون في المراد من قوله تعالى:[١٣٦] "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء".

---

(١٣١) انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة وثب.

(١٣٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة "صبأ". . والصَّابِئُونَ قوم يُشْبِه دِينُهم دِينَ النَّصارى إلاَّ أَنَّ قِبْلَتَهم نحو مَهَبِّ الجَنُوبِ، يَزْعُمون أَنهم على دين نوحٍ. . انظر: السابق، نفس الموضع.

(١٣٣) رواه البخاري في صحيحه، في الباب ٣٥ من كتاب الأحكام، والباب ١١ من كتاب الجزية، والباب ٥٨ من كتاب المغازي، والنسائي في سننه في الباب ١٧ من كتاب القضاة.

(١٣٤) رواه البخاري في صحيحه في الباب ٦ من كتاب التيمم.

(١٣٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير قوله تعالى: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء".

(١٣٦) البقرة:٢٢٨.

٨- **الغموض اللغوي الناشئ عن الحذف**[١٣٧]:

ومن ذلك:

- **عدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث:** كقول القائل: "بعض الشعوب الشرقية تمارس بعض العادات المرذولة"؛ ولكي يكون هناك تواصلا لغويا سليما مع الآخر لابد من توضيح المقصود من الأسماء غير المحددة بطرح سؤال من قبيل: "من؟ أو ما؟" من الذي يمارِس؟ وما العادات التي تمارَس؟ ولتوضيح المقصود بالأفعال غير المحددة يطرح السؤال التالي: كيف بالتحديد يمارس هذا الفعل؟ فحكمنا عليه فرع لتصوره.

ومن ذلك أيضا قولنا: "إن س من الناس محبوب من أبناء وطنه مكروه من أعدائه؛ و ص من الناس مكروه من أبناء وطنه محبوب من أعدائه"؛ وبممارسة الحذف اللغوي؛ يمكن أن يقال: "كل من س و ص مكروه ومحبوب" فيظن السامع التساوي بينهما في فاعل المحبة والكراهية الواقعة عليهما.

ومن ذلك كذلك: الخلط بين الصفة، وصفة الصفة؛ فحقيقة أن اللون الأبيض مفرق للبصر؛ يعبر عنه بعض المتكلمين بقولهم "هذا الجسم الأبيض مفرق للبصر" ، فيجعل صفة تفريق البصر للجسم لا للون الأبيض.

- **المقارنة دون ذكر المقارَن به:** كقول القائل: "نحن الأفضل" دون بيان للمقارَن به؛ وأحيانا تكون المقارنة ضمنية دون استخدام صيغ المقارنة كقولنا: "نحن أمة فاضلة"، وما إلى ذلك من صفات إيجابية أو سلبية، لا تنطلق إلا من المقارنات[١٣٨]، ويتم توضيح غموض المقارنات بطرح السؤال التالي: "مقارنة بمن؟".

---

(١٣٧) انظر: جوزيف أوكونر وجون سيمون: مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية، ص ٢٤٦: ٢٥٥.

(١٣٨) فلا شك أن النملة الكبيرة تظل أصغر من الفيل الصغير؛ رغم وصفها بالكبيرة ووصفه بالصغير؛ فهي كبيرة مقارنة بالنمل، وهو صغير مقارنة بالفيلة؛ فكثيرا ما يستلزم الوصف مقارنة ضمنية.

- **استخدام المصادر:** والذي كثيرا ما يقضي على بيان اللغة[١٣٩]؛ إذ إنه يحذف كثيرا من المعلومات المهمة؛ كقول القائل: "التحاور مع الآخر خطأ كبير!"؛ ويمكن توضيح المصادر بطرح سؤال عن المعلومات الناقصة، مثل: "من الذي يقوم بالمصدر؟ وكيف؟ ومتى يقوم به؟ وعلى من يقع الفعل الذي يدل عليه المصدر؟".

٩- اشتراك عود الضمير:

مثل قول القائل[١٤٠] لما طلب منه[١٤١] أن يعلن سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصعد المنبر وقال: "أمرني الأمير أن أسب عليا. ألا فالعنوه، لعنه الله!." وهذا الإيهام جاء من جهة اشتراك عود الضمير، فأظهر أنه استجاب لدعوة الأمير وإنما قصد لعنه.

ومثل هذا، جواب من سئل: من أفضل أصحاب رسول الله بعده؟ فقال: من بنته في بيته. فيمكن أن يفهم أن المقصود من بنته في بيت الرسول كأبي بكر رضي الله عنه أو من كانت بنت الرسول في بيته كعلي كرم الله وجهه؛ وهي مسألة قام عليها خلاف كبير بين السنة والشيعة.

* التثبت:

ويشتمل على عدة مناح:

الأول: الاستيثاق من الإدراك الحسي:

وفي ذلك يقول ﷺ: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع"[١٤٢] وذلك أن الإنسان لا يحفظ كل ما يسمعه.

---

(١٣٩) وذلك في حالة احتياج السامع إلى المعلومات المحذوفة؛ ومن ثمة فاستخدام المصادر ليس خطأ دائما؛ وإلا فالقرآن الكريم قد استخدمها، وكذلك وردت في أحاديث الرسول ﷺ وأقوال بلغاء العرب بصفة عامة.

(١٤٠) قيل هو عقيل بن أبي طالب، وقيل هو صعصعة بن صوحان وقيل حجر بن قيس المرادي أو المدري.

(١٤١) واختلف في صاحب الأمر هل هو معاوية أم محمد بن يوسف أخو الحجاج.

(١٤٢) رواه مسلم في صحيحه (مسلم بشرح النووي ٧٣/١).

الثاني: الاستيثاق من الإدراك العقلي:

ومن ذلك قول النبي ﷺ لماعز بن مالك:[١٤٣] "ويحك! لعلك قبلت أو لمست أو غمزت أو نظرت؟! قال: لا، قال:أفعلتها؟ قال: نعم".

ومن التثبت من الإدراك العقلي ما سبق أن أفردناه بالذكر لأهميته تحت عنوان: "الاستيثاق من تحقق التفاهم اللغوي السليم".

ويشمل النوعين السابقين من الاستيثاق قول ابن عباس رضي الله عنه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَسْمِعُونِي مَا تَقُولُونَ وَلَا تَذْهَبُوا فَتَقُولُوا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ"[١٤٤].

الثالث: الاستيثاق من حقيقة ما يدرك: قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"[١٤٥].

ومن ذلك ما يحكيه القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام في قوله للهدهد:[١٤٦]"قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ".

ومن ذلك سؤال الرسول ﷺ لصحابته لما جاءه ماعز معترفا بالزنا:[١٤٧] "أبصاحبكم مس؟"

ومن الأخطاء في ذلك التسرع في محاولة التخلص مما يعيبه الخصم قبل التحقق من صدق دعواه: وهكذا نستخدم عقل المخالف مقياسا للنظر من حيث لا نشعر.

---

(١٤٣) رواه الحاكم في المستدرك.

(١٤٤) رواه البخاري في صحيحه في الباب ٢٧ من كتاب مناقب الأنصار

(١٤٥) الحجرات: (٦).

(١٤٦) النمل: ٢٧.

(١٤٧) رواه الحاكم في المستدرك.

وهذه المناحي الثلاثة يجمعها قول الرسول ﷺ :[148] "نضّر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه".

*المساواة بين المتحاورين في فرصة إبداء الرأي:

وليكن كلامهما مناوبة لا مناهبة؛ فإذا فشلت هذه المناوبة، تحولت المحاورة إلى محاضرة من نوع خاص، لا إفادة فيها ولا استفادة، فالمتكلم لا يستفيد شيئا من الاستماع إلى نفسه، والطرف الآخر للحوار، وقد حرم حقه في عرض وجهة نظره، هو إلى رفض كل ما يقوله الآخر وإن كان حقا أدنى منه إلى مجرد التفكير فيه فضلا عن قبوله!

وبناء على هذا الأصل كان الجدل الفقهي الذي أثير حول حق الزوج المسلم في مناقشة زوجته غير المسلمة في مسألة إسلامها، وهل يعد ذلك من قبيل الإكراه على اعتناق الإسلام أم لا؟ وقد رأى مالك والشافعي ألا يفاتح الرجل المسلم زوجته الكتابية في هذا الأمر، ولا يعرض عليها الإسلام لاحتمال وجود نوع من الإكراه الخفي، لقوامة الرجل على المرأة والتي قد تستدعي عدم المساواة بينهما في فرصة إبداء الرأي.بينما رأى الأحناف أن يعرض عليها الإسلام من غير إكراه[149].

ومن هذا الباب لم يقبل الإمام مالك من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أن يحمل الناس على كتابه (الموطأ)[150].

---

(١٤٨) أخرجه ابن ماجة في سننه في الباب ١٨ من المقدمة؛ وأبو داود في سننه في الباب ١٠ من كتاب العلم؛ والترمذي في سننه في الباب ٧ من كتاب العلم، والدارمي في الباب ٢٤ من المقدمة، وأحمد في المسند ١/ ٤٣٧.

(١٤٩) راجع لمزيد من التفصيلات مقال د:عبد الخالد الرحموني، التسامح الإسلامي: رؤية تأصيلية، مقال على موقع المجلس العلمي المحلي للحسيمة.

http://majlishoceima.net/portail/index.php?option=com_content&view=article&id=41:2011-05-10-05-04-46&catid=49:2011-04-18-23-43-13&Itemid=91

(١٥٠) وبين له أن بعض الصحابة سمع ما لم يسمع الآخر، أو علم ما لم يعلمه غيره فنشر ما علم، وكل منهم على حق، ومن ثم اختلفت الوجوه في المسألة الواحدة، وكلها على الأغلب صحيحة؛ ورد الناس عما ألفوا شديد. والرواية أوردها الطبري في طبقاته على وهنها؛ والقاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك؛ وتأكيدا على هذا المعنى "صنف

وفي ذلك يقول تعالى: "لا تَظلمون ولا تُظلمون"[١٥١].

ومما يعين على ذلك أن يكون للحوار مدير يشرف عليه ليعطي كل متحاور حقه في فرصة إبداء رأيه.

ومن مظاهر عدم المساواة بين المتحاورين في فرصة إبداء الرأي، اشتراط مَحاورَ مسبقة لموضوع الحوار لا تؤدي للنتائج التي يرجوها طرف من أطراف الحوار، لصالح نتائج أخرى يرجوها الطرف الآخر. كإصرار طرف على وضع الآخر في صورة المدافع دائما أو بمعنى آخر في صورة المتهم، ولا يسمح له بإبداء رأيه كاملا في موضوع الحوار.

ومن مظاهر عدم المساواة بين الأطراف المختلفة في فرصة إبداء الرأي استدعاء طرف لمن لا يمثل الطرف الآخر حقيقة ليتحاور باسمه.

* حُسن الاستماع للمتحاور معه:

فتعلم حسن الاستماع لا يقل أهمية عن تعلم حسن الكلام؛ وإذا كانت البلاغة في تعلم حسن الكلام، فالتعلُّم والتحلُّم في تعلم حسن الاستماع[١٥٢].

يقول يزيد بن أبي حبيب:[١٥٣]"من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع".

ويقول محمد بن عبد الوهاب الكوفي:[١٥٤]"الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه".

أبو داود السجستاني كتابا في مفاريد أهل الأمصار من السنن، يبين ما اختص به أهل كل مصر من الأمصار من السنن التي لا توجد مسندة عند غيرهم". ابن تيمية: مجموعة الفتاوى، ٢٠/ ١٣٥.

(١٥١) البقرة:٢٧٩.

(١٥٢) وفي ذلك يقول المثل الإنجليزي: " Elocution is an art so let listening be a similar art" أي: إذا كانت الفصاحة فنًا، فاجعل الإصغاء فنًا مشابها.

(١٥٣) ابن أبي الدنيا: كتاب الصمت وأدب اللسان، ص٥٩.

(١٥٤) السابق، ٤٣.

والذين يتعلمون فنون الكلام، لا يقارنون بالذين يتعلمون فن الإصغاء، حتى إن هناك علم يهتم بفنون الكلام وهو علم البلاغة وليس هناك علم يهتم بفن الاستماع، واقتصر السماع على كونه أدبا لا يُتوقف أمامه كثيرا، ولا تفرد له المصنفات؛ ولعل ذلك ناشئ من رغبتنا في التأثير في الآخرين أكثر من رغبتنا في التفاعل معهم والتعايش السليم؛ مع أنه من غير المتوقع أن يحدث تعايش حقيقي مع الآخر دون الاستماع الجيد له، وأعتقد أن هذا سبب تأخر التعايش المثالي بين بني البشر عامة.

ويمتدح القرآن الكريم ثقافة الاستماع للآخر في قوله تعالى:(١٥٥) "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"، وفي قوله تعالى:(١٥٦) "إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون".

وينتقد مواقف المعارضين لها في مواطن عدة؛ يقول تعالى:(١٥٧) "ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون"، ويقول:(١٥٨) "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا"، ويقول: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ"(١٥٩) ، ويقول: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ"(١٦٠) ، ويقول: "لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"(١٦١).

والاستماع للآخر حق من حقوقه الإنسانية؛ وإذا كان رب العزة تبارك وتعالى قد استمع للمرأة التي جادلت الرسول ﷺ في زوجها، وأنزل في ذلك أحكاما، فما بال بشر ينزه نفسه عن الاستماع لشكوى من هو أقل منه شأنا؟!!!

---

(١٥٥) الزمر: (١٨).

(١٥٦) يونس: ٦٧.

(١٥٧) الأنفال: ٢١.

(١٥٨) الفرقان: ٤٤.

(١٥٩) الأنفال: (٢٢-٢٣).

(١٦٠) فصلت: (٥).

(١٦١) الأعراف: (١٧٩).

مخاطبا قضاة بني إسرائيل[١٠٦]: "أنا قلت إنكم آلهة"، وفي العهد الجديد [١٠٧] حينما اتهم اليهود المسيح عليه السلام بالتجديف على الله قائلين: "فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها. أجابهم يسوع – أي عيسى عليه السلام[١٠٨]- أليس مكتوبا في كتابكم (أنا قلت إنكم آلهة) [يشير إلى قول آساف السابق الذكر] إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب؛ فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تُجدّف لأني قلت إني ابن الله"؛ بل إنا نجد في العربية صيغة "تألّه"[١٠٩] مستخدمة من كثير من علمائنا في وصف

وقيل في اسم الباري سبحانه إنه مأخوذ من أَلِه يَأْلَه إذا تحير، لأن العقول تَأْلَهُ في عظمته. وأَلِه أَلَهاً أي تحير، وأصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهاً.

وقد أَلِهْتُ على فلان أي اشتدّ جزعي عليه، مثل وَلِهْتُ.

وقيل: هو مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أمر، وأَلَهَهُ: أجارَهُ، وآمَنَه.

انظر: مادة: (أله) في كل من: الفيروزابادي: القاموس المحيط؛ ابن منظور: لسان العرب

(١٠٦) المزمور الثاني والثمانون، الفقرة السادسة.

(١٠٧) إنجيل يوحنا ١٠ :٣٣- ٣٦.

(١٠٨) و"يسوع" هو النطق العربي للكلمة العبرية "يشوع"؛ وكلمة "عيسى" - في رأيي- هي كلمة "يسوع" وقد حدث قلب مكاني لحروفها مع إبدال الواو ألفا؛ والقلب المكاني والإبدال من خصائص العربية.

(١٠٩) يقول أ. أحمد الحملاوي: "تفعّل" تأتي لخمسة معان:

- أولها: مطاوعة "فعّل" مضعف العين، كـ نبّهته فتنبّه، وكسّرته فتكسّر.
- وثانيها: الاتخاذ، كـ توسّد ثوبه: اتخذه وسادة. [وبهذا المعنى يكون التأله بمعنى اتخاذ إله للعبادة أي التعبد]
- وثالثها: التكلف، كـ تصبّر وتحلّم: تكلّف الصبر والحلم. [وبهذا المعنى يكون التأله هو ادعاء الإلوهية].
- ورابعها: التجنُّب كـ تحرّج وتهجّد: تجنب الحرج والهجود، أي النوم.
- وخامسها: التدرج، كـ تجرّعت الماء، وتحفّظت العلم: أي شربت الماء جرعة بعد أخرى، وحفظت العلم مسألة بعد أخرى؛ وربما أغنت هذه الصيغة عن الثلاثي لعدم وروده، كـ تكلّم وتصدّى.". . شذا العرف في فن الصرف، ص٣١.

بعضهم البعض[١١٠]، ولكن بمعنى تعبد. والخلط بين المعنيين: اللغوي والاصطلاحي هو ما جعل النصارى يؤلهون المسيح عليه السلام.

وكلمة: **"أخت"** في قوله تعالى لمريم عليها السلام:[١١١]"يا أخت هارون"؛ لها معنى لغوي شهير ومعني اصطلاحي في التوراة، وإغفال ما هو اصطلاحي ساهم في جعل اليهود والنصارى يرون أن في هذه الآية خطأ تاريخي؛ كما سبق بيانه؛ ويزول الإشكال باعتبار المعنى الاصطلاحي؛ ففي اصطلاح التوراة تسمية أبناء وأحفاد أخو الأب أخوة له؛ وقد قيل إنها كانت من ذرية موسى عليه السلام[١١٢]، وهو أخو هارون فقيل لها: "يا أخت هارون". ففي الأصحاح العشرين من سفر العدد : "وأرسل موسى رسلا من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت المشقة التي أصابتنا....."؛ فالمقصود بـ "إسرائيل هنا كل الشعب الإسرائيلي الذي كان يقوده موسى، وهؤلاء كانوا أحفاد إسرائيل، وكذلك كان ملك أدوم وشعبه أحفاد عيسو أخي إسرائيل[١١٣].

---

(١١٠) ومن ذلك وصف ابن رجب الحنبلي لابن قيم الجوزية في آخر كتابه: "ذيل طبقات الحنابلة" بقوله: "وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة....الخ".

(١١١) مريم: ٢٨.

(١١٢) وهو قول حكاه القارافي في "الأجوبة الفاخرة"، ص ٦٢.

(١١٣) إضافة إلى ذلك فإنه ليس هناك دليل من أي نوع أو نص في كتابهم المقدس يمنع من أن يكون لمريم عليها السلام أخ يسمى هارون كما ذكر القرآن، ولا يلزم من كون اسم أخي موسى -عليهما السلام- هارون، أن لا يسمى غيره بذلك الاسم، وخاصة أن الكتاب المقدس لم يذكر شيئا يذكر عن أسرة مريم عليها السلام؛ فحتى أبيها أغفل ذكر اسمه!!!

ثم إن هذين الاسمين (عمران أو عمرام، وهارون) من الأسماء التي اشتهرت لدى بني إسرائيل، بعد أن تسمى بأحدها أبو موسى وبالآخر أخوه عليهما السلام، ومن المتوقع من أسرة متدينة كأسرة مريم والدة المسيح عليهما السلام أن تحرص على أن تسمي أولادها بأسماء من تعتبرهم في مقام الاقتداء الديني، وليس أدل على ذلك من تسمية مريم عليها السلام بهذا الاسم والذي كان من قبل لأخت موسى عليه السلام والتي يصفها العهد القديم بالنبية! بل إنه من المتوقع وقد سميت مريم بهذا الاسم أن يسمى أخوها - إن كان لها أخ- بهارون؛ لاكتمال المحاكاة بين الأسرتين في الأسماء.

وقد حسم النبي ﷺ هذه القضية فيما رواه مسلم بسنده عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرؤون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: (إنهم

قال ـ قلت ـ أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه:[170] "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم". وقال في المرأة وزوجها:[171] "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها". . فصير الله ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة ؟ قالوا: بلى! هذا أفضل. . **قال : أخرجتم من هذه ؟** قالوا: نعم!

قال وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم. . أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم: نسبيها، فنستحل منها ما نستحل من غيرها. فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم. فأنتم ترددون بين ضلالتين، **أخرجتم من هذه ؟** قالوا : بلى!

قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون "إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. . فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. . قال رسول الله: اللهم إنك تعلم أني رسولك، يا علي اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو. . قال: **فرجع منهم ألفان** وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعون[172].

فنجد ابن عباس رضي الله عنه في حواره قبل الانتقال من قضية إلى أخرى، يستوثق من أنهم ليس عندهم ما يضيفوه بقوله: "أخرجت منها؟ فيقولون: نعم".

ج- إعطاء الآخر الفرصة أولا لعرض وجهة نظره[173]:

---

(١٧٠) المائدة: ٩٥.

(١٧١) النساء: ٣٥.

(١٧٢) انظر: الشاطبي: الاعتصام، ط١، مطبعة المنار بمصر، ١٩١٣م، ٣ / ٣٥: ٣٧. وانظر ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين، ١/ ٢١٤-٢١٥.

(١٧٣) وإن كان ذلك من آداب الحوار لا من أصوله. . وقد أوردت هذا الأدب هنا لارتباطه بـ "حسن الاستماع" و"وحسن الاستماع" - في رأيي- من الأصول.

يقول تعالى مشيرا إلى هذا الأدب:[١٧٤] "قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى* قَالَ بَلْ أَلْقُوا....". فنجده عليه السلام يؤثر محاوره في البدء بتقديم البراهين والبينات التي يراها تشهد لصحة موقفه.

* الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة:

سواء كانت هذه المنطلقات أو المسلمات: عقلية، أو دينية، أو غير ذلك.

فإذا اختلفت المنطلقات النصية لاختلاف دينا المتحاورين[١٧٥]، أو كان المنطلق عند أحد المتحاورين هو النص، وعند الآخر العقل كان الحوار عبثيا[١٧٦].

وفساد اختلاف منطلاقات الحوار يشير إليها القرآن الكريم في مواطن منها: محاورة المولى عز وجل مع إبليس في شأن امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام؛ يقول تعالى:[١٧٧]"ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين* قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين".

فنجد إبليس هنا يعمد إلى القياس العقلي في أمر تعبدي مع وجود الأمر النصي الصريح[١٧٨] ولا اجتهاد للعقل في الحكم على صحة الأمور التعبدية ولا اجتهاد للعقل مع النص الصحيح الصريح، وخطأ إبليس هذا وقع

---

(١٧٤) طه: ٦٥: ٦٦.

(١٧٥) ومن أمثلة هذا الخطأ: ذلك الحوار الذي يدور بين مؤمنين بدينين مختلفين حول صحة بعض الأمور التعبدية؛ فمنطلقات كل فريق ستكون النصوص التي يؤمن بها وهي مختلفة عما يؤمن به الأخر.

(١٧٦) صحيح إن كل منكر ومعروف إنساني فلابد أن يكون كذلك دينيا، لكن العكس غير صحيح؛ كلبس الذهب للرجال مثلا، فهو منكر إسلامي وإن لم يكن منكرا إنسانيا، وكذلك الصلاة فهي من المعروف الإسلامي وليست من المعروف الإنساني.

(١٧٧) الأعراف: (١١: ١٢).

(١٧٨) وبناء على مسلمات رأها هو وحده، وهي: أن النار أفضل من الطين، والفاضل لا يسجد للمفضول؛ ليصبح خطأه مركبا بعضه فوق بعض.

فيه كثير من المفكرين الإسلاميين؛ حين طعنوا في كثير من الأحاديث قطعية الثبوت والدلالة بحجة أنها لا تتفق مع العقل.

فالعقل له دور معين في مسائل الدين؛ وهي إثبات الإلهية النص، فإذا ثبتت الإلهية النص، وثبتت دلالته؛ قدم النقل على العقل، وإلا كان ذلك طعنا في الإله وفي العقل الذي علمنا به الإلهية النص.

وفي مرحلة ثبوت صحة النص- يصبح العقل محكوما بالنص يعمل فيه دون أن يتجاوزه، ومن هنا كان قول سهل بن حنيف(١٧٩) "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم".

فالعقل لا ينوب عن الوحي كما أن الوحي لا ينوب عن العقل، ومن هنا كان قوله ﷺ :(١٨٠) "إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر". وقوله ﷺ :(١٨١) "أنتم أعلم بشئون دنياكم".

وهذه الإنابة المزعومة هي التحريف بعينه الذي ذمه سفر المزامير على لسان الرب قائلا:(١٨٢) "ماذا يصنعه بي البشر، اليوم كله يحرفون كلامي على كل أفكارهم بالشر".. وذمه سفر إرميا على لسان الرب قائلا:(١٨٣) "أما وحي الرب فلا تذكروه بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا".

فهي دعوى قديمة جديدة باطلة.

* تجنب المصادرة على المطلوب:

---

(١٧٩) رواه البخاري في الباب ٧ من كتاب الاعتصام، ومسلم برقم ٩٥ ، و ٩٦ من كتاب الجهاد؛ ولمزيد من التفصيلات راجع ابن تيمية: "درء تعارض العقل والنقل"؛ وابن رشد: "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال".

(١٨٠) رواه مسلم برقم ١٤٠ في كتاب الفضائل.

(١٨١) رواه مسلم برقم ١٤١ من كتاب الفضائل، وابن ماجة في الباب ١٥ من كتاب الرهون، وأحمد في المسند، ٥/ ١٦، ٢٩٨، ٦/ ١٢٨.

(١٨٢) المزمور ٥٦، ٤-٥.

(١٨٣) إرمياء:٢٣: ٣٦.

ويقصد بالمصادرة على المطلوب: التدليل بالدوران، وبمعنى آخر أن يكون الدليل هو عين الدعوى.

كقول القائل: "رأي س من الناس حق؛ لأنه من أهل الحق؛ وهو من أهل الحق؛ لأن رأيه حق"، وكأن قائل ذلك يقول: "رأي س من الناس حق.....لأن رأيه حق"؛ وهذا ما يسميه المناطقة بالمصادرة على المطلوب أو التدليل بالدوران وهو مرفوض عقلا.

وفي ذلك يقول الإمام علي رضي الله عنه:(١٨٤)"إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله"(١٨٥).

ولشيخ الإسلام مصطفى صبري رأي يبدو في ظاهره مخالفة لما نقول حيث يقول:(١٨٦)"إن الصلاح والفساد كثيرا ما يختلفان باختلاف الأنظار؛ فالحكم بصلاح الأفعال ونتائجها يتوقف على معرفة أن فاعلها مصلح حقيقي ..... فلو توقفت معرفة كونه ..... مصلحا حقيقيا على الصلاح في أفعاله كان دورا؛ وفضلا عن هذا فإن [الأمر] ..... يقتضي في الأكثر مرور أزمنة طويلة قد يظهر في آخرها أن القائم بدعوى الإصلاح كاذب في دعواه، فيجب على الناس أن يكونوا من أول أمرهم ..... على بينة".

ويوضح ابن تيمية هذه الإشكالية فيبين أن المستدل إنما يستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلا؛ لأن العلم بجنس الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح، بل إن جمل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم، ولذلك يسمى ذلك معروفا ومنكرا(١٨٧)..

---

(١٨٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة.

(١٨٥) ولمزيد من التفصيلات راجع جمال أبوفرحة: ميزان النبوة، ص٣٣٤: ٣٣٥.

وقد حفظ عن أهل العلم أقوال مشابهة بعضها يعبر عن هذا المنحى في الأمور كلها، كقولهم: "أستاذي حبيب إليّ، ولكن الحق أحب إليّ منه". وبعضها يعبر عن هذا المنحى في الأمور الدينية خاصة، كقولهم: "كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد، إلا صاحب الحوض ﷺ".

(١٨٦) مصطفى صبري: القول الفصل، ص١٢٨.

(١٨٧) انظر: ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية، ص ١٠٥: ١٠٦.

ويؤكد ابن تيمية على ذلك بقوله:[١٨٨]"والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك؛ فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة إلا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة، وكذلك من أظهر قصدا وعملا كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من الأخلاق فإنه لابد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعدده".

وما ذهب إليه ابن تيمية أكد عليه الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد[١٨٩]، بل وكثير من المفكرين الغربيين المعاصرين[١٩٠].

وأرى أن هذا المنهج الذي ذهب إليه مصطفى صبري وابن تيمية وغيرهما إن صح بين العالم والمتعلم، لا يصح بين المتناظرين، ففي المناظرة لابد من الدليل على كل جزئية في موضوع المناظرة.

*التفرقة بين الرأي وصاحبه:

إن ناشد الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد غيره؛ كائنا من كان: كبيرا أو صغيرا، رجلا أو امرأة، دينا أو كافرا[١٩١] عظيما أو حقيرا؛ ومن ثمة فمعينه ليس خصما، بل هو مشكور إذا عرفه الخطأ، وأظهر له الحق، ولو أن أحدنا أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه آخر على أن ضالته في طريق مغاير وصدق في خبره فإنه يشكره ويكرمه ولا يذمه ولا يلومه. . وهو ما يرشدنا إليه قوله تعالى:[١٩٢]"ولا تبخسوا الناس أشياءهم".

---

(١٨٨) السابق، ص٩١.

(١٨٩) ص١٢٣

(١٩٠) انظر على سبيل المثال:Charles H. Coates: The Red Theology in The Far East. P.29

(١٩١) يقول الشافعي في ذلك: "ما ناظرني أحد فباليت أظهرت الحجة على لسانه أو لساني". ابن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة والتعيير، ص ٣١.

(١٩٢) هود:٨٥.

وفي ذلك يقول ﷺ:[١٩٣]"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها".

ويحذرنا ﷺ من غياب هذا المبدأ وإيثار الرأي على الحق فيقول:[١٩٤]"من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار".

ومن مقتضيات ذلك الرجوع إلى الحق متى تبين:

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما في كتابه بشأن القضاء:[١٩٥]"ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك، فهديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل".

ويقول النبي ﷺ:[١٩٦]"كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

والحكمة لم يختص الله بها الكبار دون الصغار؛ "فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال إنه ممن قد علمتم. قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني؛ فقال ما تقولون في "إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا..." حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم لا ندري. أو لم يقل بعضهم شيئا. فقال لي يا ابن عباس: أكذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم"[١٩٧].

---

(١٩٣) رواه الترمذي في الباب ١٩ من كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة، وابن ماجه في الباب ١٥ من كتاب الزهد، باب الحكمة.

(١٩٤) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، وابن ماجه في المقدمة برقم ٢٥٣.

(١٩٥) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ١٥٢. ورواه الدار قطني، ٤/ ٢٠٦؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ١٠/ ١١٩.

(١٩٦) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٩٨.

(١٩٧) رواه البخاري في صحيحه، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، من كتاب المغازي؛ وانظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة النصر.

والحكمة لم يختص الله بها الرجال دون النساء؛ فعندما حدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مهور النساء في خطبة له من فوق منبر رسول الله ﷺ اعترضته امرأة فقالت: "يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول:(١٩٨) "وآتيتم إحداهن قنطاراً" الآية ؟ قال: فقال: اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل"(١٩٩).

والحكمة لم يختص الله بها المؤمنين دون غيرهم يقول ابن تيمية:(٢٠٠)"لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني – فضلا عن الرافضي- قولا فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق".

وفي ذلك يقول مُعَاذُ بن جبل: (٢٠١)"أُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحكيم(٢٠٢) فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم؛ وقد يقول المنافق كلمة الحق".

ويقول زياد بن أبيه(٢٠٣).(٢٠٤) "أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا"

---

(١٩٨) النساء:٢٠.

(١٩٩) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، في تفسير قوله تعالى: "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً". الآية ٢٠ من سورة النساء.. وانظر ابن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة والتعيير، ص٣٠.

(٢٠٠) ابن تيمية:منهاج السنة، ٢/ ٣٤٢.

(٢٠١) رواه أبو داود في الباب ٥ من كتاب السنة.

(٢٠٢) وفي ذلك يقول المثل العربي: "لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة".

ويقول المثل الإنجليزي: "Homer sometimes nods"

(٢٠٣) والي العراق في العصر الأموي، توفي سنة ٥٣هـ.

(٢٠٤) أحمد زكي صفوت:جمهرة خطب العرب، ٢/ ٢٧٦: ٢٧٧.

فلا مانع أن نأخذ الحكمة من كل من كان، حتى وإن كان الشيطان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:[٢٠٥] "وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة)... قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله. قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود). فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ (إنه سيعود). فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك). قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله؛ قال: (أما إنه كذبك وسيعود). فرصدته الثالثة: فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي { الله لا إله إلا هو الحي القيوم}. حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة). قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله؛ قال: (ما هي). قلت: قال: لي إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب. . تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟). قال: لا. قال: (ذاك شيطان)".

والحكمة لم يختص الله بها أصحاب الهالات دون غيرهم: فحين يتفوق إنسانٍ ما في مجال ما تتكون لديه هالة من الجدارة بالثقة لدى الآخرين وبتأثير تلك الهالة ينسى كثير من الناس طبيعة مجال الاختصاص الذي تفوق فيه هؤلاء، وإذا بهم يسألونهم عن كل شيء؛ وكثيرا ما يوهم ذلك أصحاب الهالات بأنهم جديرون بالإجابة عن كل شيء، وصائبون في فعل كل شيء!

ومن هذا المنطلق استُغِل الفنانون والرياضيون في الإعلانات عن المنتجات التجارية، فيكفي أن يكون النجم الفلاني يستخدم الشيء الفلاني لتثبت بذلك جودته!

---

(٢٠٥) رواه البخاري في صحيحه، في الباب ١١ من كتاب بدء الخلق، والباب ١٠ من كتاب فضائل القرآن، والباب ١٠ من كتاب الوكالة

وكثيرا ما يُسأل الرياضيون والفنانون عن قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وينفعل بعض الناس بأجوبتهم أكثر مما ينفعل بأجوبة المختصين!

بل إن المتخصص والذي حصل على أعلى الشهادات في تخصصه لا تعفيه تلك الهالة من إيراد الأدلة على ما يسأله محاوره عنه في تخصصه.

والحكمة لم يختص بها الإنسان دون الحيوان؛ فقد تعلم قابيل من غراب كيف يواري سوأة أخيه، يقول تعالى:[٢٠٦]"فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ".

وعلم سليمان عليه السلام من الهدهد ما لم يحط بعلمه؛ يقول تعالى:[٢٠٧]"فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ".

* ألا تتناقض الأدلة المزعومة:

كوصف فرعون لموسى عليه السلام بأنه: "ساحر أو مجنون"[٢٠٨]. وهما وصفان لا يجتمعان في إنسان؛ فشأن الساحر العقل والفطنة والذكاء، والمجنون على العكس من كل ذلك.

* أن تتناسب قوة الاعتقاد مع قوة الدليل:

فالأشياء من حيث يقيننا بوجودها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أشياء مقطوع بوجودها، وأشياء ممكنة الوجود، وأشياء مقطوع بعدم وجودها[٢٠٩]. وهذه الأقسام الثلاثة تقابل في الأحكام الشرعية: الأوامر، والمباحات، والنواهي.

---

(٢٠٦) المائدة: ٣١.

(٢٠٧) النمل: ٢٢.

(٢٠٨) الذاريات: ٣٩.

(٢٠٩) فالقطع بالوجود أو عدم الوجود في مجمله محصور بإدراك الحواس الخمسة المحدودة الإدراك.

وبقليل من التأمل يتبين لنا أن المجموعة الوسطى هي الأكبر؛ رغم أن كثيرًا من الناس يتعامل معها على إنها محدودة جدًا.

فالسذج يضيفون كثيرًا من الممكنات العقلية إلى حيز المقطوع بوجوده، وكثيرًا من المباحات الشرعية إلى حيز المأمور به شرعًا؛ بل قد لا يكتفون بذلك حتى يبنون على الممكنات العقلية والمباحات الشرعية قضايا كبرى.

وفي الجانب الأخر نجد الشكاك يضيفون كثيرًا من الممكنات العقلية إلى حيز المقطوع بعدم وجوده، وكثيرًا من المباحات الشرعية إلى حيز المنهي عنه شرعًا؛ معللين رفضهم لهذه الممكنات العقلية والمباحات الشرعية بأن: "ما لا دليل عليه يجب نفيه"؛ مع أن القاعدة المنطقية تقول: "إن عدم العلم لا يعني العلم بالعدم"؛ ومعللين رفضهم للمباحات الشرعية – بالإضافة إلى ما سبق – مرة بحجة سد الذرائع؛ وسد الذرائع في الإسلام كالملح في الطعام إذا زاد أفسد[٢١٠]؛ ومرة بحجة أنها شبهات؛ (ومن قل علمه كثر إنكاره) والمسكوت عنه والمباح ليسا عند أحد من أهل العلم شبهة أو فيهما خلاف (ولو سكت من لا يعلم لسقط جل الخلاف) وقد ورد النص في كتاب رب العباد:[٢١١] "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا". والمعنى: أن ما سكت عنه ليس من حق أحد أن ينهى عنه معتبرًا إياه محرمًا أو شبهة ، أو يأمر به معتبرًا إياه واجبًا أو مندوبًا؛ وفي ذلك يقول النبي

---

(٢١٠) إن الفكرة الرائجة لدى العوام أن أنه لا ضير في تحريم الحلال، وكل الضير في تحليل الحرام، فمحرم الحلال إن أخطأ في تحريمه فهو في نظر العوام: محطات لدينه، ساد للذرائع، متق للشبهات؛ بينما محلل ما اشتبه في تحريمه فهو: غير متق للشبهات، متجرئ على شرع الله أو الله؛ ومن ثمة فهو متهم في عقيدته؛ فإذا أضفنا إلى ذلك أن التحريم أسهل من التحليل - وهو ما يشير إليه الإمام مالك بقوله: "الفقيه هو الذي يبيح للناس بدليل أما التحريم فالكل يحسنه"- أدركنا سبب شيوع التوجهات التحريمية في الفتوى. . وفي حق هؤلاء يقول الشاعر ساخراً:

(رأى البيت يدعى بالحرام فحجه *** ولو كان يدعى بالحلال لما حجا).

راجع لمزيد من التفصيلات حول رفض مبدأ إيثار التحريم:

- حصة آل الشيخ: مصطلح الفتنة النصي والوهمي، مقال بصحيفة الوطن السعودية، العدد 3732 بتاريخ 18/ 12/ 2010م.
- د. محمد بن سالم الغامدي: فتح الذرائع، مقال بتاريخ 14/ 7/ 1431هـ علي الموقع الإلكتروني:

http://www.shibreqah.net/articles.php?action=show&id=4353

(٢١١) الحشر: (٧).

ﷺ:[٢١٢] "دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". ويقول:[٢١٣]"إن الله تعالى حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها". . . ويقول ﷺ :[٢١٤] "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلا: (وما كان ربك نسيا)[٢١٥] .

قد يقول قائل إن هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فهو وإن صح في المعاملات لا يصح في العبادات؛ فالأصل في المعاملات الإباحة، والأصل في العبادات الحظر والمنع فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرع، وبقليل من التأمل يتبين أن كلامنا لا يتعارض مع هذه القواعد الأصولية، وذلك أن كون الأصل في العبادات الحظر والمنع ليس من المسكوت عنه.

وهناك من لا يكتفي بكون المجموعة الوسطى هي الأكبر فيأبى إلا أن يجعلها أكبر وأكبر على حساب المجموعتين الأخرتين؛ فيكاد يصبح كل شيء عند هؤلاء ممكنا وحلالا؛ وهؤلاء هم من نسميهم بدعاة الانحلال[٢١٦]؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس كل ما في كل مجموعة من المجموعات الثلاثة سالفة الذكر متساو مع بعضه في درجة اليقين؟.

---

(٢١٢) رواه البخاري في الباب ٢ من كتاب الاعتصام، ومسلم برقم ٤١١ من كتاب الحج، ورقم ١٣١ من كتاب الفضائل، والترمذي في الباب ١٧ من كتاب العلم؛ والنسائي في الباب ١ من كتاب الحج؛ وابن ماجة في الباب ١ من المقدمة.

(٢١٣) أخرجه الدارقطني في سننه (الحديث ٢/ ٣٧) . . والحاكم في المستدرك (الحديث ٤/ ١١٥).

(٢١٤) أخرجه الدارقطني في سننه (الحديث: ٢/ ١٣٧) والحاكم في المستدرك (الحديث: ٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (الحديث: ١٠/ ١٢).

(٢١٥) مريم: ٦٤.

(٢١٦) والعلاقة اللغوية بيّنة بين الانحلال والحلال؛ انطلاقا مما يسمى بالاشتقاق الكبير الذي تحدث عنه ابن جني في كتابه الخصائص.

فبقليل من التأمل يتبين لنا أن داخل دائرة الممكن ما هو أقرب إلى المقطوع بعدم وجوده بنسب متفاوتة، وما هو أقرب إلى المقطوع بوجوده بنسب متفاوتة، وكذلك الحال بالنسبة للمقطوع بوجوده أو عدم وجوده فدرجة القطع متفاوتة في كل حالة.

وكذا الحال بالنسبة للمباحات الشرعية فمنها ما هو أقرب للمأمور به بنسب متفاوتة (المندوب بدرجاته: السنة المؤكدة، والسنة غير المؤكدة)، ومنها ما هو أقرب للمنهي عنه بنسب متفاوتة (المكروه بدرجاته: كراهة التحريم، وكراهة التنزيه)، وكذا الحال بالنسبة للأوامر الشرعية والنواهي فدرجات الأمر والنهي متفاوتة (فهناك: فرض العين، وفرض الكفاية، والواجب؛ وهناك: المكفرات، والكبائر، والصغائر).

ولكن على أي أساس نضع كل أمر من الأمور في موضعه من اليقين أو من الوجوب داخل هذه الأقسام الثلاثة؟

والصواب هو أن نضعه حسب قوة الأدلة المتاحة(٢١٧).

فإن قوة الاعتقاد لابد وأن تتناسب مع قوة الدليل تمامًا بلا زيادة أو نقصان وإلا وقعنا في مغالاة أهل الشك أو مغالاة أهل السذاجة(٢١٨).

ولنا في علماء الحديث النبوي الشريف في الإسلام قدوة في ذلك حين قسموا أحاديث الرسول ﷺ إلى درجات عدة حسب قوة الأدلة على صحتها وبنى علماء الإسلام على ذلك أحكامًا فقهية تراعي قوة الدليل . . وهذا ما لا نجد له مثيلا في تاريخ البشرية.

* تجنب استخدام العبارات الحماسية عوضا عن الدليل:

كقول بعض المتحاورين: "هذا الكلام مردود عليه"، "هذا كلام غير معقول وغير مقبول"، "إن الإسلام لا يمكن أن يكون هكذا"، "إن هذا يتعارض مع روح الدين"، بل يصل الأمر ببعض المتحاورين لتأكيد وجهة نظره

---

(٢١٧) فللحجج مراتب متفاوتة في دلالتها على اليقين؛ فهناك الحجة البرهانية: وهي التي تفيد اليقين الجازم؛ والحجة الجدلية والتي تقارب الحجة البرهانية وتلزم الطرف الأخر؛ وهناك الحجة الخطابية: وهي التي تفيد ظنا راجحا مقبولا؛ وهناك الحجة الشعرية: وهي التي تتلاعب بمشاعر الطرف الأخر وإن كان صاحبها عالما بفسادها؛ وهناك الحجة الباطلة.

(٢١٨) ولمزيد من التفصيلات حول أقوال العلماء في هذا التناسب. انظر: Anthony Kenny ,What is Faith, p8

أن يقول: "لو كان الدين هكذا فأنا كافر به"!!!. وكثيرا ما تستعمل العبارات الحماسية للنيل من الشخص المتحاور معه لصرف الأنظار بعيدا عن موضوع الحوار كقول القائل: "هذا الكلام لا يقوله: عاقل، أو محب لوطنه، أو لدينه....الخ"؛ أو "ليس هكذا رأي السلف"، دون بيان للمقصود بالسلف وللمعايير التي لابد وأن تتوافر في الشخص حتى يوصف بذلك، ومتى ولما يكون رأي السلف حجة على الخلف ؟!

* تجنب إصدار الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة[٢١٩]:

من الأخطاء التي ينبغي الحذر منها أنا حين نكون اعتقادا ما فإن القوى غير الواعية فينا تحشد على نحو خفي كل الأدلة والبراهين التي تقويه وتجعله أمرا غير قابل للنقاش، وحين تأتينا معلومات تناقض ما انتهينا إليه، فإنه من المعتاد للنفس البشرية محاولة الإفلات من التغييرات التي تقتضيها المعلومات الجديدة ومحاولة تحويرها أو إسقاطها من الاعتبار أو التشكيك في صحتها ؛ بل وإسقاطها من الذاكرة كلية فلا يتم تخزينها في العقل ولو أردنا تذكرها لم نستطع؛ والسبب في ذلك يرجع لرغبة خفية في النفس لإراحة العقل من عناء البحث والتمحيص ومن هنا تنبع جاذبية المسلمات وخطورتها في آن واحد[٢٢٠].

ومن أمثلتها قول إبليس الذي يحكيه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى:[٢٢١]"أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين". حيث عمد إلى القياس العقلي بناء على افتراضات مسبقة رآها هو وحده، وهي: أن النار أفضل من الطين، والفاضل لا يسجد للمفضول.

ويمكن توضيح الخطأ والصواب بالنسبة للأحكام المسبقة بطرح سؤال يكشف عن المحذوف في العبارة، مثل: "من الذي أصدر هذا الحكم؟ وعلى أي أساس أصدره؟".

ويمكن إماطة اللثام عن حقيقة الافتراضات المسبقة بطرح السؤال التالي: "ما الذي جعلك تظن أن....؟" ثم أكمل الافتراض المسبق.

---

(٢١٩) وليس هناك فرق بين الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة إلا من حيث درجة يقين المتحدث؛ فصاحب الحكم الجزافي يدعي اليقين في حكمه على عكس صاحب الافتراض المسبق.

(٢٢٠) انظر: عبد الكريم بكار: العيش في الزمان الصعب، ص١٦١: ١٦٢.

(٢٢١) الأعراف: (١٢).

وتنفيرا من هذا الخلق، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:[٢٢٢]"لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا".

ويقول النبي ﷺ:[٢٢٣] "إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم".

ويقول ﷺ : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"[٢٢٤].

ويقول الله تعالى:[٢٢٥] "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم"، ويقول تعالى: "وإن الظن لا يغني من الحق شيئا"[٢٢٦].

ويقدم لنا النبي ﷺ علاجا لهذا المرض فيقول:[٢٢٧] "ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن. فقال الرجل: وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه؟ قال ﷺ: إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض".

وحسن الظن لا يعني الغفلة وعدم الحذر؛ وإنما يعني إظهار الأدب، وإبطان الحيطة.

---

(٢٢٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ". وانظر: ابن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة والتعيير، ص ٣٧.

(٢٢٣) رواه البخاري في الباب ٦١ من كتاب المغازي، ومسلم برقم ١٤٤ من كتاب الزكاة، وأحمد ٣/ ٤..

(٢٢٤) رواه البخاري في الباب ٨ من كتاب الوصايا ومواضع أخرى، ومسلم برقم ٢٨ من كتاب البر، والترمذي في الباب ٥٦ من كتاب البر، ومالك في الموطأ برقم ١٥ من كتاب حسن الخلق؛ وأحمد ٢/ ٢٤٥ ومواضع أخرى. .

(٢٢٥) الحجرات: (١٢).

(٢٢٦) النجم: (٢٨).

(٢٢٧) رواه الطبراني.

* تجنب استخدام التكافؤ المتوهَّم بين كلمتين أو عبارتين[٢٢٨]:

ويحدث التكافؤ المتوهم عندما يتم الربط بين كلمتين أو عبارتين بطريقة توهم أنهما يعنيان شيئا واحدا، أو أن أحدهما تمثل النتيجة المنطقية للأخرى؛ كقول القائل: "أنت مسلم؛ فأنت إرهابي"، أو "أنا لا أفهمك؛ فأنت لا تسمعني!" ويمكن مواجهة التكافؤ المتوَّهم بطرح السؤال التالي: "كيف لهذا أن يساوي ذاك؟". أو "كيف لهذا أن ينتج ذاك؟".

ومن الأخطاء في ذلك توهم صحة العكس: فقولنا: "كل سني مسلم، لا يعني أن كل مسلم سني؛ وقولنا: "كل مسيحي في مصر قبطي، لا يعني أن كل قبطي هو مسيحي مصري".

*تجنب جمع المسائل في مسألة واحدة:

كقول القائل:"هل أنت قبطي أم مسلم؟". فهذا السؤال ينحل إلى سؤالين: أحدهما: هل أنت قبطي أم لا؟ وثانيهما: هل أنت مسلم أم لا؟. فيكون جمعا لمسألتين في مسألة واحدة.

أن ورود سؤال واحد ينحل إلى أكثر من سؤال قد يحير المجيب ويوقعه في الغلط بالجواب.

وكذلك فإن قول القائل: الإنسان وحده ضحاك، وكل ضحاك حيوان. . ينتج عنه أن الإنسان وحده حيوان. والنتيجة كاذبة مع صدق المقدمتين. وما هذا الخلل إلا لأن إحدى المقدمتين قد جمعت مسألتين في مسألة واحدة، فيكون القياس مؤلفا من ثلاث مقدمات؛ مع أنه لا يتألف قياس بسيط من أكثر من مقدمتين.

---

(٢٢٨) ويمكن إدراج هذا المزلق ضمن الأحكام الجزافية أو الافتراضات المسبقة على حسب درجة اليقين التي يظهرها مستخدمه، ولكننا آثرنا إفراده بالذكر لمزيد من العناية به.

*تجنب حصر الجواب في وجهين:

ويكون للجواب وجه ثالث أو رابع لا يذكره المحاور في خياراته ويخفيه على الخصم، موهما له بانحصار الجواب فيما هو معروض من خيارات؛ ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- هل أنت مسلم أم قبطي؟.
- هل تعتقد أن طاعة الحكومة لازمة في كل شيء أم ليست لازمة أبداً؟.
- هل أنت معي أم ضدي؟.

* تجنب استخدام صيغ الإمكان والاستحالة بطريقة غير صحيحة:

مثل قول القائل: "لا يمكنني أن أتحاور مع الآخر!" والصواب أن يقول: "لن أفعل، أو لا أريد أن أفعل"؛ ويتم توضيح خطأ المتحدث بطرح السؤال التالي: "ماذا سيحدث إن فعلت كذا؟ أو ماذا يمنعك عن فعل كذا؟".

* تجنب استخدام صيغ الضرورة بطريقة غير صحيحة:

مثل: "ينبغي أن، وينبغي ألّا"، "ويجب أن، ويجب ألّا"، "ويلزم أن، ويلزم ألّا"[٢٢٩] ومن ذلك قول القائل: "ينبغي ألا نتعامل مع الآخر!"؛ أو"ينبغي أن نتعالى على الآخر!" ويتم توضيح الخطأ من الصواب في صيغ الضرورة بطرح الأسئلة التالية:

- من الذي أوجب ما تقول؟.
- وعلى أي أساس أوجبه؟.
- وهل هو محق في ذلك؟. ولما كان محقا؟

---

(٢٢٩) ومن الأخطاء اللغوية الشهيرة في صياغة هذه العبارة قول بعض المتحدثين: (لا يجب كذا، أو لا يلزم كذا) بدلا من (يجب ألا، ويلزم ألا) ونفي الوجوب غير إيجاب النفي؛ فنفي الوجوب يفيد الجواز.

* تجنب استخدام أدوات التعميم بطريقة غير صحيحة:

وعادة ما يتم التعبير عن التعميم باستخدام ألفاظ من قبيل: "جميع" و"كل" و"دائما" و"أبدا" و"لا أحد"؛ وهي كلمات لا تعرف للاستثناء بابا ولا طريقا؛ ومن ذلك قول القائل: "كل من ليس منتميا إلى وطني السياسي فهو مبتدع في دينه".

وفي بعض الحالات نجد أن تلك الألفاظ غائبة لفظا وإن كانت حاضرة معنى – أي ضمنيا- كقول القائل: "الغرب يكرهنا"؛ ويتم توضيح الخطأ من الصواب في صيغ التعميم بطريقتين:

- الأولى: بطرح السؤال التالي: "هل لم يحدث ولو لمرة واحدة أن....؟".

- الثانية: بمجاراة الشخص الذي يقوم بالتعميم بشكل مبالغ فيه؛ حتى تظهر في النهاية تفاهة ذلك التعميم، وفي أغلب الأحيان فإن اتباع هذا المنهج ينتهي بالشخص الذي أطلق التعميم إلى الدفاع عن وجهة النظر المعاكسة لوجهة نظره الأولى، وكلما زدت في توضيح تفاهة وسخافة التعميم الذي أطلقه ذلك الشخص، وكلما اتخذت موقفه الأولي بتعصب أكثر منه، أضحى ذلك الشخص أكثر اعتدالا في رأيه؛ إن هذا المنهج يشبه استخدام عدسة مكبِّرة لتبين لنا حقيقة شيء لا نراه بالطريقة المعتادة بأعيننا المجردة.

فمثلا في قول القائل: "كل من ليس منتميا إلى وطني السياسي فهو مبتدع في دينه"، يمكن مجاراة صاحب هذه العبارة هكذا: (نعم، ولذا يجب أن نتحرى دائما عن جنسية أئمة الصلاة، فإذا تبين لنا أن إماما لا يحمل جنسيتنا لا يجوز أن نصلي وراءه حتى يتجنَّس، فإن تجنَّس جازت الصلاة وراءه؛ فالصلاة لا تقبل إلا ممن يحملون جنسيتنا، والأدلة متظاهرة على ذلك: عقلية ونقلية، فقد تم جنسنة الجنة بأمر صاحب الجلالة أمير البلاد، بمعنى أنه لن يدخلها إلا من يحمل جنسية وطننا.....إلى آخر ذلك من ترهات، مما سيدفع مطلق التعميم إلى مراجعة النفس في تلك الأدلة العقلية والنصية المزعومة، ليتبين له أن الأمر كله لا أساس له من الصحة).

ويلفت القرآن الكريم الأنظار إلى خطأ مبدأ التعميم في كثير من الأحيان، في عديد من الآيات القرآنية عندما يستخدم أمثال هذه العبارات.

"ليسوا سواء"[٢٣٠]، "فمنهم....ومنهم"[٢٣١]، "وإن منهم"[٢٣٢]، "إلا قليلا منهم"[٢٣٣]، "من الذين هادوا"[٢٣٤]، "ومن أهل الكتاب"[٢٣٥]، "وإن من أهل الكتاب"[٢٣٦]، "فريق منهم"[٢٣٧]، "طائفة منهم"[٢٣٨] "ود كثير من أهل الكتاب"[٢٣٩]، "ودت طائفة من أهل الكتاب"[٢٤٠] ...الخ.

ومن طرائف **أخطاء التعميم تعميم تخطئة التعميم**، بمعنى أن يظن بعض الناس بناء على ما ذكرنا أن كل تعميم باطل؛ وهذا ما لم يقل به أحد، يقول الله تعالى:[٢٤١] "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ". ويقول:[٢٤٢]" يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ".

* تجنب المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار:

---

(٢٣٠) آل عمران: (١١٣).

(٢٣١) النساء: (٥٥).

(٢٣٢) آل عمران: (٧٨).

(٢٣٣) المائدة: (١٣).

(٢٣٤) النساء: (٤٦)

(٢٣٥) آل عمران: (٧٥).

(٢٣٦) آل عمران: ١٩٩.

(٢٣٧) النساء: (٧٧).

(٢٣٨) النساء: (٨١).

(٢٣٩) البقرة:١٠٩.

(٢٤٠) آل عمران: ٦٩.

(٢٤١) الحج: ٢.

(٢٤٢) النحل: ١١١.

والناس هنا على طرائق شتى: فمنهم من يبالغ في زعم القدرة على قراءة الأفكار، ومنهم من يغفل هذا الجانب لأبعد مدى، ومنهم من يعتبره قرينه لابد وأن ينضم إليها ما يؤكدها.

وثمة نوعان أساسيان من قراءة الأفكار: نوع يدعي صاحبه أنه قادرٌ على قراءة أفكار الآخر؛ فنجده يقول على سبيل المثال: "الآخر يتمنى لي الشر ولا يحب معايشتي". . ونوع يزعم صاحبه قدرة الآخر على قراءة أفكاره هو؛ ومن ثمة يحاسبه على ذلك؛ فنجده يقول على سبيل المثال: "إنْ كنت تحبني حقا لعلمت ما أردته!"، "ألا تدرك ما أشعر به؟!"، "إنني منزعج؛ لأنك لم ترع مشاعري!"، "يجدر بك أن تعرف أنني أحب ذلك!".

إن من يستخدم أي من النمطين السابقين في تعاملاته مع الآخرين لن يقيم حوارا معهم قط فصاحب النط الأول يزعم أنه يعرف ما يريد الآخرون قوله؛ وصاحب النمط الثاني يزعم أن الآخرين يعلمون ما يريد إيصاله لهم.

وتتمثل طريقة مواجهة زاعمي قراءة الأفكار في سؤال من يزعمون قدرتهم على ذلك السؤال التالي: "كيف تستطيع أن تعرف ما يدور بخلد الآخرين؟!". . وفي سؤال من يزعمون قدرة الآخر على قراءة أفكارهم السؤال التالي: "كيف يتسنى للآخر أن يعرف أفكارك التي لم تبح بها؟!"[٢٤٣].

نعم، إن محاولة قراءة الأفكار لها أهميتها في محاولة استكمال التعرف على الآخر؛ فتظهر إحدى الدراسات الأمريكية[٢٤٤] أن ٧: ١٠% فقط من اتصالنا بالآخرين يتم عبر الكلمات، والباقي يتم عبر لغة غير غير كلامية تشمل: نغمة الصوت، ولغة الجسد[٢٤٥].

---

(٢٤٣) انظر لمزيد من التفصيلات:

جوزيف أوكونر وجون سيمون: مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية، ص ٢٥١: ٢٨٦.

كريستين سازر لاند: البرمجة اللغوية العصبية،ص ٩٨: ١٠٠.

تد جارايت: البرمجة اللغوية العصبية، ص١١٩: ١٢٣.

(٢٤٤) انظر: ياسر عبد الكريم بكار: القوة في يديك ص176..

وانظر: .Mehrabian Wadsworth ,Silent Messages,p31

(٢٤٥) ولمزيد من التفصيلات حول قراءة الوجوه، ولغة الجسد، انظر: عاطف أبوالعيد: لغة الجسد. . وانظر: ناعومي آر. تيكل: بإمكانك قراءة لغة الوجوه.

والناس في هذه المهارة على درجات شتى يرجع بعضها إلى أصل الفطرة[٢٤٦] وبعضها إلى التعلم.

إلا أن هذه الممارسات الواسعة لمحاولات قراءة الأفكار لا تضفي الشرعية العلمية على هذه الممارسات كوسيلة معرفية بالآخر؛ فهي وسيلة لا تكفي وحدها للاعتماد عليها في فهم الآخر؛ فهي في نظرنا تقوم مقام القرينة لا البرهان في دلالتها، ومن ثمة فهي لا تدل إلا إذا انضمت إليها قرائن أخرى يقوي بعضها بعضا حتى توصلنا إلى علم يقيني ما أحوجنا إليه!

وذلك أن الإنسان كائن غير بسيط، بل هو بالغ التعقيد؛ لقد تكلم علماء النفس عن حيل الوجدان، وكيف يحاول الإنسان أن يخفي مشاعر الضعف التي يشعر بها، وأن يظهر ما يضادها، فإذا أضفنا إلى ذلك الفروق الفردية في التعبير عن المشاعر بلغة الجسد نجد أن عملية التكهن بما في ذهن الآخر أصبحت غاية في الصعوبة، ومن هنا تتعدد تفسيرات هؤلاء الذين يصرون على قراءة أفكار الآخر وتضطرب وقلما تتفق[٢٤٧].

على أن حديثنا هنا ليس عن المشاعر القوية التي تظهر علاماتها بشكل واضح وجلي على الجسد، وإنما حديثنا عن المشاعر اليومية للإنسان في ظروفه المعتادة لا الاستثنائية.

يقول كارول هاريس: "قد يشير التثاؤب إلى الملل، ولكنه أيضا قد يشير إلى الإرهاق ونقص الأكسجين؛ ولضمان الفهم الصحيح للشخص الآخر فمن المفيد التعامل مع سلوكه ببساطة وكأنه معلومة – دون تقييم لهذه المعلومة- ثم التأكد من هذه المعلومة أي من حقيقة شعوره أو تفكيره، وتستطيع أن تفعل ذلك بشكل مباشر بسؤاله عن أفكاره أو مشاعره، أو بشكل غير مباشر باختبار ملاحظاتك والبحث عن دلائل أخرى تدعم ما توصلت إليه"[٢٤٨].

ولعل من أهم وسائل قراءة الأفكار وأكثرها إهمالا من الدارسين:

---

(٢٤٦) انظر: د.جمال الحسيني أبوفرحة: ميزان النبوة، ص ١١١: ١٢٠.

وراجع قصة ابن صياد مع النبي ﷺ في صحيح البخاري كتاب الجمعة، باب الجنائز، وكذلك مسلم في صحيحه بنب ذكر ابن صياد من كتاب الفتن.

(٢٤٧) انظر: د. ياسر عبد الكريم بكار: القوة في يديك ص ١٧٦.

(٢٤٨) كارول هاريس: البرمجة اللغوية العصبية، ص١٤٣.

"الحوار اللغوي غير المباشر" أو (التحليلات اللغوية)[٢٤٩].

فنحن بمجرد سماعنا لشخص يتكلم في موضوع ما يمكننا أن نحدد بدرجة ما: بلده، ونتعرف على خلفيته الثقافية والعقدية؛ بل وأحواله الصحية والنفسية إلى حد ما، فهذا التعرف ناشئ عما أسميه بالحوار اللغوي غير المباشر، وهو حوار لغوي لأنه قائم على اللغة وهو غير مباشر لأن ما نحصله من معلومات منه لا علاقة لها بموضوع حديث المتحدث.وإذا كان هذا الأمر مشاهدًا منا جميعًا، ولا يمكننا إنكاره[٢٥٠]، ومن هنا قال سقراط قولته الشهيرة: "يا هذا تكلم حتى أرى من أنت" وقال الإمام علي: "المرء مخبوء تحت لسانه"؛ فإني أزعم أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أن كل لغة إنما تعبر عن العقل الجمعي لأربابها.

وعليه فإذا أردنا أن نفهم أنفسنا ونفهم الآخر جيدًا: فردا وجماعة، فلا بد وأن نتوقف أمام اللغة (بمستوياتها المتعددة: اللغة الخاصة بكل إنسان والتي تحمل بصمته ولا يشركه أحد غيره فيها، ولهجة اللغة التي يتكلم بها جماعة من الناس، واللغة نفسها التي تتكلم بها جماعات عدة) لنتكشف حقيقة هذا الحوار اللغوي غير المباشر القابع تحت هذا الستار اللفظي.

وخطورة اللغة أنها ليست مجرد مرآة للفكر مظهرة له؛ وإنما هي فاعلة فيه كذلك: تتأثر به وتؤثر فيه؛ ففكر الأجداد ينعكس على الآباء ومنه على الأحفاد من خلال اللغة.

يقول ابن تيمية: [٢٥١]"واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا".

ويقول جوزيف أوكونر وجون سيمون: [٢٥٢]"إن أولئك الذين يتعلمون لغة أخرى غير لغتهم الأصلية يحدث لهم تغييرا جذريا في الطريقة التي يفكرون بها في العالم".

---

(٢٤٩) وقد أفردناه بالذكر دون غيره من وسائل قراءة الأفكار لقربه من تخصصنا وبعد ما سواه، فنغمة الصوت مثلا وكذا لغة الجسد يحتاج الحديث عنهما إلى متخصصين في علم النفس.

(٢٥٠) ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان إبليس: "قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين" سورة ص: ٨٢. فنجد إبليس يقسم بالعزة؛ فدل ذلك على أنها شاغله ومن ثمة كان رفضه للسجود لآدم وكانت لعنته، وهكذا تكشف لنا لغته عن مكنونات نفسه.

(٢٥١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم،١/ ٤٦٩.

(٢٥٢) جوزيف أوكونر وجون سيمون: مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية، ص٢٤١. وانظر المزيد من التفصيلات: ماريان ديامونذ: العقل وأشجاره السحرية، ص ٣٤:٣٥، ٦٠:٦٣، ١٤٩، ٢٠٠ :٢٠٢.

ويقول جورج أورويل[٢٥٣]: "إذا أفسد الفكر اللغة، فإن اللغة يمكنها أن تفسد الفكر أيضا".

ومن دلائل وجود هذا الحوار اللغوي غير المباشر:

أو بعبارة أخرى كون اللغة صورة لفكر المتحدث بها مؤثرة على فكر المتعلم لها ما يلي:

١- **إن ازدهار ظاهرة التمييز بين المذكر والمؤنث في اللغة العربية بعكس لغة كالانجليزية**؛ كان له تأثيره على الفكر ومن ثمة السلوك لدى أرباب كل لغة؛ فدرجة التفرقة في اللغة بين المذكر والمؤنث قابلها بنفس الدرجة تفرقة في الفكر؛ وظهر ذلك في السلوك؛ فلو عقدنا مقارنة بين هاتين اللغتين في هذه السمة لوجدنا في العربية من مظاهر التأنيث ما يلي:

- جمع المؤنث السالم.
- تاء التأنيث.
- ألف التأنيث: (المقصورة، والممدودة).
- الأسماء الموصولة: التي -اللتان- اللاتي- اللائي.
- أسماء الإشارة: - هذه- هذي- هاتِه- تلك- تانِك- هاتان.
- الضمائر:هي..هن..أنتِ.. أنتن.. نون النسوة.. ياء المخاطبة. .الخ

وغير ذلك، وهو ما لا نجد له مقابلا في الإنجليزية المعاصرة [٢٥٤] عدا التفريق بين المذكر والمؤنث مع ضمير المفرد الغائب She - He وكذا ضمائر الملكية His -her.

---

(٢٥٣) السابق: ص ٢٥٤.

(٢٥٤) أما الوضع بالنسبة للإنجليزية القديمة فيختلف؛ فمظاهر التأنيث فيها أكثر ازدهارا، وهو ما يعكس فكرا قديما ظهر في حينه في سلوك الناطقين بها. راجع: Cyril Babaev: Old English Language Grammar على الموقع التالي:

http://babaev.tripod.com/archive/grammar42.html

ومظاهر تأثير هذه التفرقة اللغوية بين المذكر والمؤنث على الفكر ومن ثمة على السلوك كثيرة: فإذا نظرنا مثلا للون الملبس لوجدنا عرب الجزيرة العربية يفرقون تفرقة حادة بين الرجل والمرأة في ذلك حتى حصروا كلا من الجنسين في لون معين هو أبعد ما يكون عن الآخر: الأسود للنساء والأبيض للرجال؛ بينما الغرب فلم يفرق في الملبس هذه التفرقة الحادة فالكل يلبس الجينز؛ وذلك لأنه لم يفرق كثيرا في الفكر ولا في اللغة بينهما.

٢- **استخدام كلمة Jerusalem في الإنجليزية، ويروشاليم ירושלים بالعبرية، للدلالة على القدس** الشريف، وهما في الحقيقة كلمة واحدة؛ فحرف (J) في الانجليزية يقابل (י) الياء في اللغات السامية[٢٥٥].

وهي كلمة تعني بالعبرية الرعب والسلام [٢٥٦]، أو السلام المؤثث على الرعب والخوف؛ ومعنى ذلك أن الفكر العبري والإنجليزي لا يرى أملا في تحقيق السلام في القدس إلا بالقوة والعنف وإثارة الخوف.

ورغم أن اسم "أورشليم" والذي يعني "نور السلام" أو "مدينة السلام" في كثير من اللغات السامية كالسومرية بل وفي العبرية أيضا هو الأشهر عبر التاريخ بل والأقدم [٢٥٧] من اسم "يروشاليم"[٢٥٨]؛ إلا أن اليهود لم يطلقوا هذا الاسم الحالم المسالم قط على المدينة المقدسة، وآثروا عليه هم وأعوانهم الإنجليز اسما من وضعهم ليعبروا به عن طبعهم.

٣- **استخدام مسيحي مصر لفظ قبط للدلالة عليهم دون غيرهم من المسلمين**، ووقوع عامة المسلمين في هذا الخطأ.

---

(٢٥٥) فاسم يوسف مثلا في العربية ينطق Joseph في الانجليزية.

(٢٥٦) انظر: ي. قوجمان: قاموس عبري عربي.

(٢٥٧) "يبوس": هي أقدم تسمية لمدينة القدس، نسبة للعرب اليبوسيين، أول من سكن مدينة القدس، وقد جاء هذا الاسم في كثير من الكتابات الهيروغليفية باسم : "يابتى" أو "يابثى" وهو تحريف للاسم العربي "يبوس"؛ وقد أطلق على هذه المدينة المقدسة عديد من الأسماء منها :أورسالم، أورشاليم، يروشاليم، إيلياء، أرينيل، بيت إيل، بيت المقدس، القدس ... الخ . انظر: سيد حسين العفاني، واقدساه، ١٧/١ وما بعدها.

(٢٥٨) فقد كانت مدينة القدس تحمل هذا الاسم قبل دخول العبرانيين إليها أول مرة في تاريخهم في السنة الثامنة من ملك داود - عليه السلام - حوالي سنة (١٠٥٠ق.م)، وذلك بشهادة نقش "تل العمارنة" الموجود في المتحف المصري بالقاهرة، والذي يرجع إلى عهد "امنحتب الثالث " وهو عبارة عن رسالة من حاكم القدس "عبد يحيبا" ١٤١١-١٣٧٥ ق.م إلى الفرعون.

مع أن كلمة قبط كلمة يونانية الأصل وتعني سكان مصر فهي كلمة تدل على شعب لا على دين، والغرض من ذلك الاستخدام هو الإيحاء بأن مسلمي مصر مستعمرين عرب[٢٥٩]، وللأسف أن هذا الخطأ يقع فيه جل مثقفي العرب.

ومن الطريف أنا نخطئ في ذلك ولا تخطئ شعوب أخرى فالإنجليز على سبيل المثال يطلقون على مصر EGYPT أي بلد القبط وهو لفظ قريب من كلمة (قبط) فالقلب بين القاف والجيم ظاهرة لغوية معروفة في معظم اللغات ويطلقون على أهلها EGYPTIAN وأحيانا COPT أي الأقباط أو المصريين بصرف النظر عن دياناتهم؛ وإن كان المعنى الخطأ دخل في القواميس الحديثة مع المعنى الصحيح فأصبح لكلمة COPT معنيان: مصري، ومسيحي.

٤- معاني كلمة JEW في اللغة الإنجليزية:

- يقول قاموس إلياس العصري[٢٦٠]: JEW : يهودي- إسرائيلي – غش- ضحك على.

---

(٢٥٩) وهو ما أعلنه صراحة الأنبا بيشوي - مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري وديري القديسة دميانة وسكرتير المجمع المقدس لطائفة الأقباط الأرثوذكس- في 2010/9/15م، ونشرته صحيفة المصري اليوم بعدد 2285، ولا نسلم له مقاله، وذلك أن الفاتحين العرب عاد معظمهم إلى شبه الجزيرة العربية لاستكمال الفتوحات؛ ومن غير المقبول عقلا افتراض بقاء جيش الفاتحين العرب كله أو حتى جله في البلدان المفتوحة بعد فتحها، وإلا لعجزوا عن فتح غيرها.

أضف إلى ذلك أن منطقة حوض النيل منطقة جذب سكاني ومن المفترض علميا أن تزيد كثافتها السكانية عن المناطق الصحراوية المحيطة بها؛ ومن هنا يمكننا أن نقول إن الهجرات العربية لمصر لم تبدأ بعد الفتح الإسلامي لها وإنما تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وليس أدل على ذلك مما أثبتته الدراسات اللغوية المقارنة بين اللغتين العربية والقبطية من تشابه كبير – أذهل الباحثين!- يقطع بعمق العلاقة بين الطرفين.

إضافة إلى ذلك فإن العرب من أحفاد إسماعيل عليه السلام تجري في عروقهم دماء أمهم المصرية هاجر رضي الله عنها، وقد اختلطت دماؤهم بدماء عامة العرب عبر القرون الطويلة.

ومعنى هذا أنه إذا لم يكن الأقباط: (مسلمين ونصارى) عربا بدرجة أو بأخرى، فالعرب: (عدنانية وقحطانية) مصريون بدرجة أو بأخرى.

(٢٦٠) انظر: مادة (JEW): A. Elias & Ed. E. Elias, Elias' Modern Dictionary, English- Arabic

- ويقول معجم OXFORD [٢٦١]: "Jew: sometimes offensive" وكلمة offensive تعني: (مهاجم، مزعج، منفر، خبيث).

وهذا الربط اللغوي بين كلمة يهودي وهذه المعاني لاشك يعبر عن صورة ذهنية لليهودي في الفكر الإنجليزي مرتبطة بهذه المعاني؛ وهي صورة لا شك سيئة وهي لا تعبر عن رأي فرد بل رأي أمة، ولا تعبر عن رأي عصر محدود، بل تاريخ طويل – لابد منه- لتكتسب الكلمات معانيها المعجمية الجديدة.

على أن اللغة ليست مجرد صورة لفكر السلف ولكن خطورتها تكمن في أنها مرآة له تعكسه على الخلف فتؤثر فيه (وهنا مربط الفرس).

على أن هذا الذي تضع اللغة يدنا عليه في دقيقة يؤكده تاريخ الأدب الإنجليزي: شعر، مسرح، رواية، ..الخ، وليس أشهر في الدلالة على هذه المعاني من مسرحية: تاجر البندقية لشكسبير، ومسرحية يهودي مالطة لكريستوفر مارلو....الخ

ولكن لنا أن نتساءل: إذا كانت هذه هي صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي، فبماذا نفسر مساعدات أمريكا وإنجلترا على وجه الخصوص لإسرائيل؟!

وهنا نجد الإجابة من تأملنا لبعض التراكيب اللغوية في الإنجليزية، وأكتفي في ذلك بمثال واحد لضيق المقام وهو: تقديم الصفة على الموصوف؛ فهذا التقديم في رأيي يعبر عن خلفية فكرية مهمة لأرباب هذه اللغة، فهو يعبر عن أن نظر أصحاب هذه اللغة إلى الصفات يسبق نظرها إلى الذات المتجردة عن الصفات.

وذلك في تصوري يعني أن أهمية المرء تقدر بالنظر إلى صفاته العرضية ككونه: ذي دين، وذي لغة، وذي ثقافة وحضارة، وذي مال وقوة ....الخ؛ لا بالنظر إلى صفاته الجوهرية الملازمة لذاته كآدمي وكإنسان.

بمعنى أن صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي كما توضحها دلالات كلمة: Jew وإن كانت مدعاة لكراهيته، إلا أنها في نفس الوقت بالنظر إلى القاعدة اللغوية: (تقديم الصفة على الموصوف) مدعاة لمساعدته في إقامة وطن قومي في فلسطين؛ تخلصًا منه ومن صفاته القبيحة بإبعاده عن الغرب، واستغلالا لصفاته القبيحة في تحقيق أطماع الغرب الاستعمارية، حتى وإن كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان الفلسطيني وسلبه كل حقوقه الإنسانية.

---

(٢٦١) انظر: مادة: (JEW): A S Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English.

وخاصة بعد أن نجح الإعلام اليهودي في تشويه صورة الفلسطيني أمام الفكر الإنجليزي القديم؛ حتى غدا من معاني كلمة فلسطيني Philistine [٢٦٢]- في الاستخدام اللغوي الإنجليزي القديم - كما يقول معجم:WEBSTER[٢٦٣]:

an individual guided by material rather than intellectual or artistic values

أي شخص تتحكم فيه المادة أكثر من العقل أو القيم الأدبية.

أو كما يقول معجم OXFORD [٢٦٤]:

person who has no interest in or understanding of the arts, or is hostile to them: uncultured person

أي شخص لا يهتم ولا يفهم الآداب والفنون أو معاد لها: شخص غير مثقف.

وإن كانت صورة الفلسطيني الحقيقية فرضت نفسها على الثقافة الإنجليزية المعاصرة حتى محت تلك الصورة السيئة القديمة؛ فغدا معنى كلمة فلسطيني في اللغة الإنجليزية المعاصرة Palestinian خاليا تماما من كل ما هو سلبي.

إلا أن الغرب تعامل مع القضية الفلسطينية وخاصة في بدايتها من منطلق نظرته إلى صفات اليهودي القبيحة[٢٦٥]، وصفات الفلسطيني المزعومة؛ لا من منطلق إنسانية كل منهما وحقوقه الإنسانية والتي منها محاولة الأخذ بيده، وهدايته؛ لا التخلص منه ولا سحقه.

---

(٢٦٢) استخدام قديم لكلمة Palestinian راجع حسن سعيد الكرمي: المغني الأكبر ص ٩٨٠.

(٢٦٣) انظر: مادة: (Philistine): Webster's Ninth New Collegiate Dictionary,

(٢٦٤) انظر: مادة: (Philistine):

- A S Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English.

(٢٦٥) فصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: "تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى" (الحشر:١٤).

أما اللغة العربية – لغة القرآن- فتنظر إلى إنسانية الإنسان قبل أن تنظر إلى صفاته؛ فتقدم الموصوف على الصفة، فتراعي إنسانية الإنسان قبل أن تراعي أية صفة أخرى لهذا الإنسان، من انتمائه إلى عرق، أو ثقافة، أو دين مغاير؛ وهو ما يؤكده مجمل تاريخ العرب(٢٦٦) وأرجو أن يؤكده واقعهم المعاصر(٢٦٧).

قد يقال: إن دلالة اللغة وتراكيبها على اتجاهات فكرية وسمات خلقية معينة لأربابها ليست قطعية؛ فقد نجد أرباب لغات تقدمت الصفة على الموصوف في لغتهم ولم تتقدم في نظرتهم ومعاملاتهم مع غيرهم.

وهذا في رأيي أمر صحيح؛ ولكنه لا يعني بحال الغض من شأن هذا الحوار اللغوي غير المباشر رغم أن دلالته قد تتخلف في بعض اللغات؛ لأنها تتأكد في لغات أخرى؛ إذا انضمت إليها قرائن من تاريخ طويل، وفلسفات معلنة، وأحداث معاصرة مشاهدة صباح مساء.

نعم، إن القرينة لا تدل بمفردها، وقد تتخلف أحيانًا؛ إلا أنها أيضًا تتقوى إذا اجتمعت مع قرائن أخرى حتى إنها قد توصلنا إلى علم يقيني – ما أحوجنا إليه- إذا كثرت واستفاضت.

---

(٢٦٦) فنحن لا نعدم أمثلة للممارسات العنصرية في تاريخنا. انظر في ذلك: د. علي بن عبد العزيز العميريني: الإسلام والتفرقة العنصرية، ص٨٥: ٨٩.

(٢٦٧) ففي ضوء ثقافة التخلف التي نعيشها سرت في أمتنا العربية كثير من الدعاوى العنصرية البغيضة، وترسخت بقوانين وتشريعات وتأصيلات إسلامية موهومة ومزعومة!

أهم آداب الحوار :

* الرفق واللين.
* المساواة بين المتحاورين في اعتبار حيازة الحقيقة.
* إنزال الناس منازلهم.
* البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في الحوار.
* الإقبال على المتحاور معه.
* غض الصوت.
* تجنب الإملال.
* فصل الكلام وبيانه.
* التسليم بنتائج الحوار.
* أن لا يكون المتحاور غضبانا.

تمهيد:

يقول ابن منظور: وأصل الأدب لغة: الدعاء، وسمي الأدب أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح؛ ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مَدْعاة ومَأْدُبة، والأدب الظَّرف وحُسْن التناول[٢٦٨].

ومن هنا فمعنى أدب الحوار أي ما يدعو إلى حسنه لا إلى صحته، أي أنه فضل وإن كان مهما، لا يؤثر غيابه في كنه الحوار؛ ومن هنا قلت وأقول: إنه يمكن للحوار الإثمار وإن اختلت بعض آدابه إن تحمل طرف طرفا.

وتتأتى أهمية الأدب في الحوار من مرارة الحقيقة، فالحق مر ومن هنا توجب ألا نزيده مرارة بأسلوب تقديمه وتبيينه، ورب كلام أشد جرحا من حسام، وكلم اللسان أنكى من كلم السنان.

والحجة وحدها ليست كافية دوما لتقبل الإنسان لها؛ كما سيأتي بيانه مفصلا في دراسة لنا أخرى بعنوان: "الحوار العقدي بين الرفض والقبول".

ومن هنا توجب أن يكون الحوار مع الآخر مشفوعا بخطاب للمشاعر الإنسانية، ويتمثل ذلك أول ما يتمثل بالأدب في الحوار؛ يقول تعالى:[٢٦٩] "وقولوا للناس حسنا"، ويقول:[٢٧٠] "وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن"، ويقول: [٢٧١]: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

ولم يكتف القرآن بالأمر بأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن، حتى نهى عما دونها تأكيدا للأمر فقال تعالى:[٢٧٢]:"ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم"؛ فالأمر بالشيء غير النهي عن

---

(٢٦٨) انظر ابن منظور: لسان العرب: مادة (أدب).

(٢٦٩) البقرة:٨٣.

(٢٧٠) الإسراء:٥٣.

(٢٧١) النمل: ١٢٥.

(٢٧٢) العنكبوت: ٤٦.

عكسه؛ فالنهي أقوى في الدلالة على وجوب الالتزام؛ وفي ذلك يقول النبي ﷺ:[٢٧٣] "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

* الرفق واللين.

يبين القرآن الكريم أن الرفق واللين له أثره في الاستيلاء على المسامع والقلوب، ومن ثمة نجاح الحوار؛ يقول تعالى لموسى وهارون:[٢٧٤] "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى".

ويروى في ذلك أن الخليفة المأمون، "وعظه واعظ وعنف له في القول.. فقال [المأمون] يا رجل، ارفق؛ فقد بعث الله من هو خير منك – يقصد موسى وهارون- إلى من هو شر مني – يقصد فرعون- وأمره بالرفق[٢٧٥]. وإذا كان هذا في شأن فرعون الذي نص الله تعالى على أنه طغى، وعلى أنه أراه آيته كلها فكذب وأبى! فكيف بمن هو دونه؟!

كما يبين القرآن الكريم أن غياب الرفق واللين كثيرا ما يؤدي إلى فشل الحوار، وضياع الثمار المرجوة منه؛ يقول تعالى:[٢٧٦] " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ".

يقول النبي ﷺ:[٢٧٧] "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه".

ويقول[٢٧٨] "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله".

---

(٢٧٣) رواه البخاري في صحيحه في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ من كتاب الإعتصام.

(٢٧٤) طه: ٤٣: ٤٤.

(٢٧٥) الغزالي: إحياء علوم الدين ٢/ ٣٣٤.

(٢٧٦) آل عمران: ١٥٩.

(٢٧٧) رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٨) من كتاب البر؛ وأبو داود في الباب (١) من كتاب الجهاد؛ وأحمد في المسند ٦/ ٥٨، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢٢.

(٢٧٨) رواه البخاري في صحيحه في الباب (٤) من كتاب الاستتابة؛ والباب (٢٢) من كتاب الاستئذان، والباب (٥٩) من كتاب الدعوات، والباب (٣٥) من كتاب الأدب؛ ومسلم في صحيحه برقم (٤٧) من كتاب البر، والباب (١٠) من كتاب السلام؛ وأبو داود في الباب (١٠) من كتاب الأدب، والترمذي في الباب (١٢) من كتاب الاستئذان؛ وابن ماجة في الباب (٩) من كتاب الأدب؛ والدارمي في الباب (٧٥) من كتاب الرقاق؛ ومالك في الموطأ برقم (٣٨) من كتاب الاستئذان؛ وأحمد في المسند ١/ ١١٢؛ ٤/ ٨٧؛ ٦/ ٣٧، ٨٥، ١٩٩.

ويقول:[٢٧٩]"من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير؛ وليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن".

* المساواة بين المتحاورين في اعتبار حيازة الحقيقة[٢٨٠]:

فالمختلفان على أحوال أربعة[٢٨١]:

- إما أنهما مجتهدان حق الاجتهاد، فأصاب أحدهما، وأخطأ الآخر، وعندئذ يكون المصيب غير متعين[٢٨٢]، والمخطئ معذور في خطئه.
- وإما أنهما على قدم متساوية من امتلاك الحقيقة.
- وإما أن أحدهما جاحد منكر لما يعلم صحته.
- وإما أن أحدهما جاهل يتكلم بما لا علم له به.

ورغم ذلك وفي كل الأحوال فإن دعوى احتكار الحقيقة **قبل بدء الحوار وفي أثنائه** إنما هي دعوة إلى التفارق لا إلى التحاور والتواصل.

فإذا انتهى الحوار وانتفت صفة المتحاورين عن أطرافه فلكل أن يعلن قناعته، وإن زعم احتكار الحقيقة.

---

(٢٧٩) رواه أحمد ٦/ ٤٥١، ١٥٩، والترمذي في الباب ٦٧ من كتاب البر.

(٢٨٠) وهذا الأدب لا يتطلب في كل أنواع الحوار، فلا يقتضيه الحوار بين العالم والتعلم مثلا.

(٢٨١) وإلى مجمل هذه الأحوال يشير قوله ﷺ: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل جار في الحكم فهو في النار". . رواه ابن ماجه، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق من كتاب الأحكام، وأبو داود، باب "في القاضي يخطئ" من كتاب الأقضية، والترمذي، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي من كتاب الأحكام.

(٢٨٢) يقول الجويني: " كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا، ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده". الجويني: الإرشاد، ص ٣١٢.

ومن ثمة فإن الحوار الصادق لا يبدأ بإعلان نتائجه قبل أن يبدأ (أنا على صواب، وأنت على باطل)؛ فصاحبه إما في حيرة من الحق ويبحث عنه، وإلا وجب عليه التظاهر بذلك[٢٨٣].

وهو ما تشهد له معان لغوية عدة للحوار[٢٨٤]؛ منها:

- **التحير والوقوف والتردد؛** فيقال: تحير الماء في المكان: أي وقف وتردد كأنه لا يدري كيف يجري؛ **وبهذا المعني:** فالحوار الصادق لا يبدأ بإعلان نتائجه قبل أن يبدأ فصاحبه في حيرة من الحق وبحث عنه؛ أو على الأقل لابد وأن يتظاهر بذلك.
- **الغيم،** فالحَيْر والحَيِّر: الغيم ينشأ مع المطر **وبهذا المعنى:** يوجد الحوار حيث يوجد الحير (بمعناه المجازي، ذلك الذي يعوق الرؤية العقلية لا البصرية)، فإن لم يوجد الحير تظاهر صاحب الحوار بوجوده.

والتظاهر بعدم وضوح الرؤية والحيرة والتردد يشفع له أحد المعاني اللغوية لصيغة "تفاعل" والتي تأتي كلمة "تحاور" على وزنها الصرفي وهو معنى: " التظاهر بالفعل دون حقيقته"[٢٨٥].

ومبدأ المساواة في اعتبار حيازة الحقيقة قبل بدء الحوار عبَّر عنه الشافعي بقوله: "رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب".

وعبر عنه القرآن الكريم بشكل أبلغ في قوله تعالى:[٢٨٦]"وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين* قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون"؛ فالآية الكريمة هنا لا تكتفي بأن تضع المتحاورين في مرتبة واحدة

---

(٢٨٣) راجع مبحث "رفض الحوار بدعوى اشتراط تسليم الآخر بالعقائد الأساسية التي يؤمنون بها قبل بدء الحوار العقدي"، من دراستنا المعنونة بـ "الحوار العقدي مع الآخر بين الرفض والقبول".

(٢٨٤) انظر: مبحث الحوار بين اللغة والاصطلاح من هذه الدراسة.

(٢٨٥) كقولنا: تناوم، وتغافل، وتعامى: أي أظهر النوم والغفلة والعمى، وهي منتفية عنه . . انظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف، ص ٣١.

(٢٨٦) سبأ: ٢٤: ٢٥.

من الحق؛ وهو ما لم يفعله الشافعي؛ بل تؤثر الأخر وتفترض قبل البدء في الحوار معه أنه الأقرب إلى الحق؛ فينسب المتحاور الإجرام إلى نفسه ومطلق العمل إلى الآخر[٢٨٧].

وهذا المعنى يؤكد عليه النبي ﷺ بقوله:[٢٨٨] "الكيس من دان نفسه".

ويعلل الفخر الرازي ذلك بقوله في تفسير لهذه الآية: [٢٨٩] "لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم".

ويستطرد الفخر الرازي قائلا:[٢٩٠] "إن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ. . يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم؛ فيفوت الغرض؛ وأما إذا قال له: بأنا أحدنا لا يشك في أنه مخطئ؛ والتمادي في الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز؛ فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر، ويترك التعصب؛ وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة؛ لأنه أوهم بأنه في قوله شاك، ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه (وإنا أو إياكم) مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون".

وفي قوله تعالى:[٢٩١] "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"؛ نجد المولى عز وجل يبين أن منطلق المجادلة لابد وأن يكون من التسليم بأن الله تعالى هو وحده الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو وحده الأعلم بالمهتدين، ومن ثمة فليس من حق أحد ادعاء احتكار الحقيقة.

---

(٢٨٧) انظر: الفخر الرازي: التفسير الكبير، ٢٥/ ٢٥٧. وذهب القرطبي في تفسيره لهذه الآية إلى أن الإجرام هنا بمعنى الكسب. انظر الجامع لأحكام القرآن. وقال السعدي في تفسيره: "كل منا ومنكم له عمله، أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم".

(٢٨٨) رواه ابن ماجه في باب ذكر الموت والاستعداد له من كتاب الزهد.

(٢٨٩) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ٢٥/ ٢٥٧.

(٢٩٠) السابق: نفس الموضع.

(٢٩١) النحل: ١٢٥.

وكذلك في قوله تعالى:[٢٩٢]"وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" ما يدل على أن كل كتاب وكل مقال من عند غير الله لابد فيه من الاختلاف الكثير مع الحق[٢٩٣]؛ ومن ثمة لا يبقى مجال لمدع أن يدعي احتكار الحقيقة

بل إن الإسلام ليجعل المختلفين في الرأي **ما استنفدا جهدهما** في الاجتهاد مأجورين: المصيب والمخطئ؛ يقول النبي ﷺ:[٢٩٤] "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران؛ وإذا حكم فأخطأ فله أجر".

وإذا كان المخطئ مأجورا من الله في المنظور الإسلامي، فكيف يطعن عليه في أمر هو مأجور عليه من الله تعالى؟! ومن يأجره الله تعالى على فعل ألا يأجره الناس عليه، ولو معنويا بتكريمه وإنزاله منزلة المأجورين من الله، بالمساواة بينه وبين المصيب في اعتبار حيازة الحقيقة حتى ينتهي الحوار.

ونجده ﷺ يبين لنا أن هذه المساواة في حيازة الحقيقة بين المختلفين لا تظل افتراضا نظريا وحكما أخرويا دائما بل كثيرا ما تتحقق عمليا على أرض الواقع:

فكان من وصايا النبي ﷺ لقادة السرايا الحربية قوله: "إن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"[٢٩٥]. أي : "أنزلهم على فهمك لحكم الله ورسوله" الذي لا يحجر على غيره من الفهوم المقبولة لغة وشرعا، وليس المقصود حكمك الذي لا يتقيد بالنص إن وجد النص.

---

(٢٩٢) النساء: ٨٢.

(٢٩٣) انظر: ابن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة والتعيير، ص ٣١.

(٢٩٤) رواه البخاري في الباب ٢١ من كتاب الاعتصام، ومسلم برقم ١٥ من كتاب الأقضية، وأبو داود في الباب ٢ من كتاب الأقضية والترمذي في الباب ٢ من كتاب الأحكام، والنسائي في الباب ٣ من كتاب القضاة، وابن ماجة في الباب ٣ من كتاب الأحكام، وأحمد ٢/ ١٨٧ ومواضع أخرى.

(٢٩٥) رواه مسلم برقم ٢ من كتاب الجهاد، وأبو داود في الباب ٨٢ من كتاب الجهاد، والترمذي في الباب ٤٧ من كتاب السير، وابن ماجة في الباب ٣٨ من كتاب الجهاد، والدارمي في الباب ٨ من كتاب السير، وأحمد ٥/ ٣٥٨.

وعندما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في فهم المراد من قوله ﷺ: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"،[٢٩٦] ففهمت طائفة أن المراد الحث على الإسراع، وأصرت أخرى على التطبيق الحرفي للأمر؛ أقر النبي ﷺ الاجتهادين.

ومن هنا فإن من العلماء من فهم أن الاجتهاد ما استوفى أركانه ليس فيه مخطئ ومصيب، و"أن الصواب في كل مسألة ما انتهى إليه حكم المجتهد فيها، وإن اختلفت الاجتهادات، ونتائجها، اختلاف تضاد، لا مجرد اختلاف تنوع[٢٩٧]..... بل نقل عن بعض علماء السلف من طرد ذلك في المسائل الاعتقادية غير الأساسية التي اختلفت فيها طوائف الأمة"[٢٩٨].

---

(٢٩٦) رواه البخاري في الباب ٣٠ من كتاب المغازي؛ والباب ٥ من كتاب الخوف.

(٢٩٧) فالخلاف الفقهي من هذا المنظور ما هو إلا **مظهر من مظاهر السعة واليسر** في شريعة الله الخاتمة؛ قائما مقام تعدد الرسالات واختلاف التشريعات في الأمم السابقة لمناسبة أحوال أهل كل زمان ومكان.

وفي ذلك يقول **عمر بن عبد العزيز**: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون؛ لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة.

انظر: ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٢/ ٨٠ ؛ والشاطبي: الاعتصام ٢/ ٤١٧.

وفي رواية عنه رحمه الله تعالى: ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا، كان في الأمر سعة.

ورحم الله الإمام أحمد فإن تلميذه **إسحاق بن بهلول الأنباري** سمى كتابه: "كتاب الاختلاف" فقال له أحمد :سمه "كتاب السعة". كما في ترجمته من "طبقات الحنابلة".

وللعلامة **أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي** من علماء القرن الثامن الهجري كتاب بعنوان: "رحمة الأمة باختلاف الأئمة".

وفي ترجمة: **طلحة بن مصرف** – رحمه الله تعالى –" قال عنه موسى الجهني: "كان طلحة إذا ذكر عنده الاختلاف، قال: لا تقولوا: الاختلاف، ولكن قولوا :السعة". الحافظ أبو نعيم: حلية الأولياء: ١٩/٥

وكان سفيان الثوري - رحمه الله- وغيره يكرهون قول الناس: "قد اختلف العلماء"، ويقولون: قولوا بدل ذلك: "توسع العلماء".

(٢٩٨) القرضاوي: الصحوة الإسلامية، ص ١٠٨.

وحتى من رأى من العلماء أن حكم الله واحد ومن ثمة فالمصيب رأي واحد؛ أفسحوا المجال للاختلاف في الرأي؛ يقول ابن تيمية:(٢٩٩) "إن حكم الله واحد، وأن من خالفه باجتهاد سائغ مخطئ معذور مأجور....فإنه لا يكلف نفسا إلا وسعها".

ومن هنا نجد أن من الفقهاء من كان يطبق أحيانا آراء فقهية لم يقل بها؛ سدًا لباب الفتنة، وتأكيدًا على مبدأ المساواة في اعتبار حيازة الحقيقة بين من استوفى أركان الاجتهاد:

فصلى الشافعي الصبح في مسجد أبي حنيفة الصبح فلم يقنت ولم يجهر ببسم الله تأدبًا مع أبي حنيفة رحمهما الله (٣٠٠).

ومن هذا المنطلق فإن من العلماء من ذهب إلى إنكار أن تسمى مسائل بمسائل الأصول لا يقبل الخلاف فيها ويكفر المخالف؛ ومسائل تسمى بمسائل الفروع يُقبل الخلاف فيها ولا يُكفَّر المخالف فيها(٣٠١):

---

(٢٩٩) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى: ٢٠/ ١٤٩.

(٣٠٠) انظر: ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ص ٥٩٣: ٥٩٤ على الموقع التالي في الشبكة العنكبوتية:
http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1179&cat=12

(٣٠١) يقول ابن تيمية: "السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم، لا يؤثمون مجتهدا في المسائل الأصولية، ولا في الفروعية، كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره؛ ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية، ويصححون الصلاة خلفهم؛ .....هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين.....والفرق بين مسائل الفروع والأصول إنما هو من أقوال أهل البدع .....كما أنها [أي الفروق المزعومة] محدثة في الإسلام لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع، بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة، فهي باطلة.....فإن المفرقين بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرقوا بينهما بفرق صحيح يميز بين النوعين، بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة:

فمنهم من قال: مسائل الأصول هي العلمية الاعتقادية التي يطلب فيها العلم والاعتقاد فقط، ومسائل الفروع هي العملية التي يطلب فيها العمل... وهذا فرق باطل؛ فإن المسائل العملية فيها ما يكفر جاحده، مثل: وجوب الصلوات الخمس، والزكاة، وصوم شهر رمضان، وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش؛ وفي المسائل العلمية ما لا يأثم المتنازعون فيه، كتنازع الصحابة: هل رأى محمد ربه؟ وكتنازعهم في بعض النصوص: هل قاله النبي ﷺ أم لا؟ وما أراد بمعناه؟..... ونحو ذلك، فليس في هذا تكفير ولا تفسيق. . والمسائل العملية فيها عمل وعلم، فإذا كان الخطأ مغفورا فيها، فالتي فيها علم بلا عمل أولى أن يكون الخطأ فيها مغفورا.

يقول ابن تيمية:[٣٠٢] "المجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت، وغير ذلك، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه، وهو مطيع مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع، ولا يعاقبه الله البتة".

ويقول:[٣٠٣] "وقد كان النبي ﷺ يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة: (خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) ولم يقل[٣٠٤]:(وكل ضلالة في النار)؛ بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب..... وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة [من وجهة نظر ما] ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرد منها [من وجهة نظر ما]، وإما لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله:[٣٠٥] {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}. وفي الصحيح أن الله قال: ((قد فعلت))".

ومنهم من قال: المسائل الأصولية هي ما كان عليها دليل قطعي، والفرعية ما ليس عليها دليل قطعي.... وهذا الفرق خطأ أيضا ..... فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة ملازمة للقول المتنازع فيه، حتى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي، بل هو صفة لحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس.....

ومنهم من فرق بفرق ثالث وقال: المسائل الأصولية هي المعلومة بالعقل، فكل مسألة علمية استقل العقل بدركها فهي من مسائل الأصول التي يكفر أو يفسق مخالفها. والمسائل الفروعية هي المعلومة بالشرع، .... فالأول: كمسائل الصفات والقدر، والثاني كمسائل الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار. فيقال لهم: ما ذكرتموه بالضد أولى، فإن الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل" مجموعة الفتاوى ١٩/ ١١١ :١١٤.

(٣٠٢) مجموعة الفتاوى ١٩/ ١١٦. وانظر ٢٠/٢٢: ٢٣- ١٣٨: ١٤٠.

(٣٠٣) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى ١٩/ ١٠٤. وانظر: معارج الوصول، ص ٢٤ :٢٥.

(٣٠٤) وللأستاذ ابن يوسف العمري مقال بعنوان: (تصحيح زيادة: "وكل ضلالة في النار"). على الموقع التالي: http://almenhaj.net/makal.php?linkid=3103

وقد أول فضيلته هذه الزيادة بما لا يتعارض مع محل الشاهد في كلام ابن تيمية. وخرّج هذه الزيادة من كل من النسائي في السنن، وفي الكبرى، وابن خزيمة في الصحيح، والفريابي في القدر، ومن طريقه الآجري في الشريعة، وكذا البيهقي في الاعتقاد وفي الأسماء والصفات، و أبو نعيم في الحلية وفي المستخرج على صحيح مسلم، و ابن بطة في الإبانة. بل وذكر أن ابن تيمية نفسه ذكرها في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم".

(٣٠٥) البقرة:٢٨٦.

ويؤكد الذهبي على هذه النظرة الإسلامية بقوله:[٣٠٦] "لو أنا كلما أخطأ إمام [من وجهة نظر ما] في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مَنْدَة ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"

ومن البراهين العلمية على تحقق المساواة في حيازة الحقيقة بين المختلفين في كثير من الأحيان: هاتان الصورتان اللتان يرى أكثر الناس في أحدهما صورة لضفدع، وفي الأخرى صورة لفرس؛ ورغم ذلك فهناك قلة استطاعت أن ترى في كل منهما صورة الفرس وصورة الضفدع معا، وأدركت أن الخلاف ليس إلا في زاوية النظر فقط.

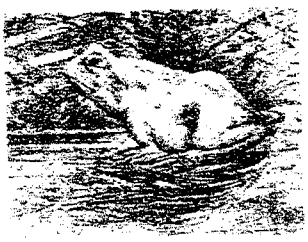

ويذكر لنا أبو حامد الغزالي في الإحياء قصة رمزية تقرب فكرة تحقق المساواة في حيازة الحقيقة بين المختلفين؛ فيقول: "اعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل، وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه. فقالوا لابد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه، فطلبوه، فلما وصلوا إليه لمسوه، فوقع يد بعض العميان على رجليه، ووقع يد بعضهم على نابه، ووقع يد بعضهم على أذنه، فقالوا قد عرفنا. فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم، فقال الذي لمس الرجل: إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر، إلا أنه ألين منها. وقال الذي لمس الناب: ليس كما يقول، بل هو صلب لا لين فيه، وأملس لا خشونة فيه. وليس في غلظ الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود. وقال الذي لمس الأذن: لعمري هو لين، وفيه خشونة.. ولكن.. ما هو مثل عمود ولا هو مثل أسطوانة، وإنما هو مثل جلد عريض غليظ. فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه، إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل، ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل، ولكنهم بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكُنه صورة الفيل. فاستبصر في هذا المثال واعتبر به، فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه".

---

(٣٠٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠؛ وانظر ٣٧٦ . . ويقول الذهبي في ترجمته للتابعي قتادة السدوسي:"وكان يرى القدر نسأل الله العفو ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك" . .سير أعلام النبلاء ٥/٢٧١.

إنه لمن الخطورة بمكان أن نقدم أنفسنا للناس وكأننا الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أو أن نجعل أنفسنا التطبيق النموذجي لدين الله الحق[٣٠٧].

ومن هنا يتوجب على من أراد التحاور مع الآخر استبدال تلك العبارات المعبرة عن الجزم والقطع باحتكار الحقيقة بأخرى كقول القائل: "هكذا يبدو لي الأمر"، أو "هذه هي الحقيقة كما أراها"[٣٠٨].....الخ

وهو ما يترتب عليه بلا شك إظهار كل ما يدل على احترام الآخر: سواء بالكلمات أو الحركات أو النظرات أو الإيماءات....الخ.

وذلك أن دفع الأمور باتجاه شيطنة الآخر لا يفضي إلا إلى مزيد من التشظي والتوتر؛ وهو ما يعارضه القرآن الكريم في قوله تعالى:[٣٠٩]"ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".

*إنزال الناس منازلهم.

فلابد للمحاور أن يُنزل الناس منازلهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم؛ فلكل مقام مقال.

وعن عبد الله بن مسعود قال:[٣١٠] "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".

---

(٣٠٧) ومن مظاهر ذلك في يومنا هذا ذلك التقليد الذي بدأ ينتشر بين جماعات سياسية كثيرة حينما تستهل دعوة الناس إلى فعالياتها المختلفة بالآية الكريمة "يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم". الأنفال: ٢٤. ولا مانع من البدء بهذه الآية وأمثالها في الحديث عما هو معلوم من الدين بالضرورة أما الأمور الخلافية فلا.

(٣٠٨) ولمزيد من التفصيلات حول هذه النقطة، راجع: د. جمال الحسيني أبوفرحة: التاو (ديانة وفلسفة) ص ٢٠: ٢٩.

وكذلك فمن الخطأ أن نسأل محاورا عن حكم الإسلام، وليكن سؤالنا عن رأيه في حكم الإسلام، وكذلك فإنه لمن الخطأ أن يقدم لنا محاور فهمه للإسلام باعتباره ممثلا لحكم الإسلام إلا فيما فيه نص قطعي الدلالة قطعي الثبوت، ومن ثمة إجماع؛ لقد آن الأوان أن نرجع لتلك العبارة التي اعتاد علماء الإسلام أن يختموا بها حديثهم وهي: "والله أعلم"، والتي كادت أن تختفي من حديثهم اليوم وحلت محلها في كثير من الأحيان عبارات تتهم المخالف إما بالجهل، وإما بالنفاق.

(٣٠٩) فصلت: (٣٤).

(٣١٠) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٧٦ بشرح النووي.

وعن علي بن أبي طالب قال:[٣١١] "حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يُكذب الله ورسوله".

وقال ﷺ:[٣١٢]"أنزلوا الناس منازلهم"؛ وقال: [٣١٣]"أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم".

وفي ذلك يقول تعالى:[٣١٤]"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" وليس المقصود باللغة في رأيي هنا الحروف والكلمات ومعانيها اللغوية؛ وإنما اللغة بأبعادها الثقافية المختلفة ومستوياتها المتعددة.

ويقول الله تعالى في ذلك: [٣١٥]"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".

فالمدعوون بالحكمة طائفة، والمدعوون بالموعظة الحسنة طائفة، والمجادلون طائفة أخرى[٣١٦].

وقد كان ﷺ قدوة في ذلك؛ فلم ينقل التاريخ أن أحدا جاء إليه ﷺ فصعب عليه فهم شيء من الإسلام؛ وبالطبع فإن هؤلاء الذين بعث النبي ﷺ بين أظهرهم كانوا كأي مجتمع آخر درجات شتى: منهم الذكي ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم العالم ومنهم الجاهل.

---

(٣١١) رواه البخاري في صحيحه في الباب (٤٩) من كتاب العلم، ١/ ٤٤.

(٣١٢) رواه مسلم وأبو داود، انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٢/ ٢٠٤.

(٣١٣) رواه الديلمي عن ابن عباس،انظر السيوطي: جامع الأحاديث،٢/ ١٧١ برقم: ٤٦٦٧.

(٣١٤) إبراهيم: ٤.

(٣١٥) النحل: ١٢٥.

(٣١٦) قال الشوكاني: بـ "الحكمة" أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين. . "والموعظة الحسنة" وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، [و] قيل وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة؛ قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه: "وجادلهم بالتي هي أحسن" أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقاً وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مبطلاً وغرضه فاسداً ". الشوكاني: فتح القدير، تفسير الآية ١٢٥ من سورة النحل.

*البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في الحوار.

وذلك عند تحرير محل النزاع، وهي بداية تقلل من حدة الخلاف، وتضيق فجوته؛ وتستثير الرغبة في التوافق والاتفاق في محل النزاع.

وهو أدب يأمر به القرآن الكريم في قوله تعالى:[٣١٧] "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون".

فهنا يرشدنا القرآن الكريم إلى نقاط اتفاق يمكن أن تكون منطلقا للحوار مع أهل الكتاب والتي تلخصها الآية في الآتي:

أولا: ما أنزل إلينا وكان متفقا مع ما أنزل إليهم.

ثانيا: التوحيد وإن تأوله كثير منهم تأولا شركيا لكنهم يقرون بأصله وهو "ألا إله إلا الله" كما سبق بيانه.

ثالثا: وجوب الإسلام لحكم الله؛ وهو ما يتضمن الالتزام بآداب الحوار عامة.

والأمثلة على هذا النهج عديدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى:[٣١٨]"قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ" فنجد الحوار يبتدئ بالمشتركات لينطلق منها إلى نقاط الخلاف.

*الإقبال على المتحاور معه:

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:[٣١٩] "كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه على شر القوم، يتألفه بذلك، وكان يُقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم".

---

(٣١٧) العنكبوت: (٤٦).

(٣١٨) المؤمنون: ٨٤: ٨٩.

(٣١٩) رواه الطبراني بإسناد صحيح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (٣٢٠) "استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: بئس ابن العشيرة، فلما دخل هش له رسول الله ﷺ وانبسط إليه ثم خرج فاستأذن رجل آخر فقال النبي ﷺ نعم ابن العشيرة فلما دخل لم ينبسط إليه كما انبسط إلى الآخر ولم يهش له كما هش فلما خرج قلت يا رسول الله استأذن فلان فقلت له ما قلت ثم هششت له وانبسطت إليه وقلت لفلان ما قلت ولم أرك صنعت به ما صنعت للآخر فقال يا عائشة إن من شرار الناس من اتقى لفحشه".

ويقول تعالى: (٣٢١)"ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم".

*غض الصوت:

فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي السامع، وتهاون يشجي المحاوَر، وتعال يخزي صاحبه، وخلط بين الحوار والشجار(٣٢٢)، وكثيرا ما يكون علامة على فراغ الرأس من الرأي.

إن الطبيعة لترشدنا(٣٢٣) إلى أن الضجيج علامة على السطحية؛ فصخب الموج وضجيجه لا يوجد في الغالب إلا في المياه الضحلة، أما المياه العميقة حيث نفائس البحر وكنوزه، فقلما يسمع لها ضجيجا، أو لأمواجها صخبا.

كما ترشدنا الطبيعة إلى أن الضجيج علامة على الفراغ؛ فالإناء الفارغ يصدر ضجيجا أعلى من الممتلئ(٣٢٤).

---

(٣٢٠) رواه أحمد في المسند، ٦/ ١٥٨.

(٣٢١) فصلت: (٣٤: ٣٥).

(٣٢٢) و"اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية" كما يقول علماء الإسلام.

(٣٢٣) وغالب حججنا هنا خطابية لا تفيد قطعا ولكنها تفيد ظنا راجحا.

(٣٢٤) عبارة منسوبة لكل من كونفشيوس وشكسبير. . وفي المثل الإنجليزي: Empty vessels make the most sound

كما ترشدنا الطبيعة إلى أن الضوضاء كثيرا ما تكون عوضا عن الأفعال ولا تجتمع معهـا، فـالكلاب النابحة نادرا ما تعض[٣٢٥]، والسيف يقطع العظام وهو صامت، والطبل يملأ الفضاء وهو أجوف.

وقد جاء في القرآن الكريم من وصايا لقمان لابنه: ".... وَاغْضُضْ مِن صَـوْتِكَ إِنَّ أَنكَـرَ الْأَصْـوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"[٣٢٦].

*تجنب الإملال:

قال ابن مسعود:[٣٢٧] "إن للقلوب نشاطا وإقبالا، وإن لها تولية وإدبارا؛ فحدثوا الناس ما أقبلوا عليكم"[٣٢٨].

وكان الحسن يقول:[٣٢٩] "حدث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم فإذا التفتوا فاعلم أن لهم حاجات"

وقال أبو هريرة:[٣٣٠]"لا خير في فضول الكلام"[٣٣١].

---

(٣٢٥) يقول المثل الإنجليزي: Barking dogs seldom bite

(٣٢٦) سورة لقمان:١٩.

(٣٢٧) رواه الدارمي في باب من كره أن يمل الناس من المقدمة.

(٣٢٨) وهذه الحالة عبر عنها المثل العربي القائل: "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

وعبر عنها المثل الإنجليزي القائل: "Speech is silver, but silence is gold"

وكذا المثل القائل: "You have one mouth and two ears for a reason"

(٣٢٩) رواه الدارمي في باب من كره أن يمل الناس من المقدمة.

(٣٣٠) ا بن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس،١/ ٦٠.

(٣٣١) وفي ذلك يقول المثل العربي: "خير الكلام ما قل ودل"؛ ويقول المثل الإنجليزي: "The least said the better"

وقال:[٣٣٢] "أنذركم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته".

وقال عطاء: [٣٣٣]"بترك الفضول، تكمل العقول".

وقال إبراهيم النخعي:[٣٣٤] "يهلك الناس في خلتين: فضول المال، وفضول الكلام".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:[٣٣٥] "طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله".

وقال صلى الله عليه وسلم:[٣٣٦] "ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه".

"وقال المفضل الضبي لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل.

قال الأحنف: البلاغة الإيجاز في استحكام الحجة، والوقوف عند ما يكتفى به.

وقال خالد بن صفوان لرجل كثير كلامه: إن البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

وسئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما البلاغة؟ قال: القصد إلى عين الحجة بقليل اللفظ"[٣٣٧].

ومن هذا الباب سرعة الكلام وبطئه فالبطء الزائد في الكلام يجعل المستمعين يفقدون تركيزهم، ويشتت انتباههم؛ والسرعة الزائدة تجعلهم غير قادرين على الفهم والاستيعاب لما يسمعون.

---

(٣٣٢) رواه أبو نعيم في الحلية، والسيوطي في الدر المنثور، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان، ص ٤٥٢ ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد بمعناه عن عبد الله بن مسعود، وقال رواه الطبراني.

(٣٣٣) ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس،١/ ٦٠.

(٣٣٤) ابن أبي الدنيا: كتاب الصمت وأدب اللسان، ص٦١.

(٣٣٥) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال أخرجه الطبراني؛ وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان، ص٤٩.

(٣٣٦) رواه السيوطي في الدر المنثور، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان، ص ٥٧.

(٣٣٧) محمد بن مفلح بن محمد المقدسي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ص ٣٧.

* فصل الكلام وبيانه:

وقد كان الرسول ﷺ قدوة في ذلك؛ فعن عائشة رضي الله عنها: "كان كلام النبي ﷺ فصلا يفقهه كل أحد لم يكن يسرده سردا"[٣٣٨]. وعنها رضي الله عنها كذلك: "كان رسول الله ﷺ لا يسرد سردكم هذا، يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من سمعه"[٣٣٩]. وعنها كذلك رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم كان يحدث حديثا لو عدّه العاد لأحصاه"[٣٤٠].

ويقول النبي ﷺ مبينا أهمية البيان:[٣٤١] "إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان سحر".

* التسليم بنتائج الحوار.

وهو من باب "التفرقة بين الرأي وصاحبه"؛ لأن رافض التسليم بالنتائج لا يرفضها إلا لأنها لا تمثل رأيه الذي بدأ به الحوار وإنما تمثل رأي الآخر، ومن هنا فرافض التسليم بنتائج الحوار يعجز عن التفريق بين الرأي وصاحبه، وقد سبق الحديث عن ذلك في أصول الحوار؛ وقد اعتبرنا "عدم التفرقة بين الرأي وصاحبه" (أصلا)، و"عدم التسليم بنتائج الحوار" (أدبا)، رغم أنهما في الحقيقة شيء واحد تقريبا فلأن "عدم التفرقة بين الرأي وصاحبه" يقتل الحوار في بدايته؛ أما "عدم التسليم بالنتائج" فيقتل الحوار نسبيا في نهايته؛ وقتل الحوار في نهايته لا يكون إلا نسبيا ولا يكون كاملا في رأيي لأن الحوار وقد تم لا نعدم نتائجه وثمراته:

- فمن لا يسلم بنتائج الحوار اليوم وقد قامت عليه الحجة فلعله يراجع نفسه ويسلم في الغد القريب أو البعيد.
- وإن لم يسلم هو فلعل غيره من سامعي الحوار يسلمون بما ظهر من الحق.

---

(٣٣٨) رواه أحمد ٦/ ١٣٨.

(٣٣٩) رواه أحمد ٦/ ٢٥٧.

(٣٤٠) رواه البخاري في الباب ٢٣ من كتاب المناقب، ومسلم في صحيحه بشرح النووي١٨/ ١٢٩، وأبو داود في سننه في الباب السابع من كتاب العلم، والترمذي في الباب ٩ من كتاب المناقب، وأحمد ٦/ ١١٨، ١٥٧.

(٣٤١) رواه البخاري في باب إن من البيان سحرا من كتاب الطب.

الخاتمة

أخيرا وبعد هذا التطواف مع الحوار: مفهومه وأصوله وآدابه نخلص بالآتي:

إن الوقوف على المفهوم اللغوي للحوار يساهم في تحديد المعنى الاصطلاحي الصحيح للحوار السليم؛ فالمعاني اللغوية لمادة (حور) ومادة (حير) تعد بمثابة مرجعية عند الخلاف حول أصل من أصول الحوار، أو أدب من آدابه.

ولقد اهتم الإسلام بالحوار ولفت الأنظار إلى أهم أصوله وآدابه ولم تعارض نصوصه أصلا له أو أدب.

ولكل حوار أصول تمثل أركانه وحقيقته بدونها يختل وينهار؛ تختلف من حوار إلى آخر بحسب موضوعه وأطرافه؛ فالحوار الفقهي مثلا له أصول تختلف عن غيره (كرفض الأخذ بمفهوم المخالفة إلا بشروط قد لا تشترطها حل الحوارات الإنسانية الأخرى) ومن ثمة فمحاولة استقراء أصول الحوار الإنساني عامة يعد أمرا غاية في الصعوبة.

كما أن للحوار آداب تختلف كذلك من حوار لآخر، (فالحوار بين العالم والمتعلم لا شك يختلف في آدابه عن الحوار بين النظيرين) ومن ثمة يصعب استقراؤها؛ ورغم أهمية آداب الحوار يمكن للحوار أن يقوم بدونها إن تحمل طرف طرفا.

إلا أن الأصول والآداب الثابتة للحوار مهما اختلفت أطرافه وموضوعاته تظل هي الأكثر عددا من تلك الأصول والآداب الخاصة بحوارات معينة؛ ومن ثمة كانت هي محل اهتمامنا في دراستنا هذه.

ومن الجدير بالذكر هنا أن أصول الحوار وآدابه هي مما يدرك بالفطر السليمة والأذهان الصافية، وإنما كان النص عليها لإلزام المعاند وتنبيه الغافل.

قد يزيد عنه في الأهمية في بعض الأحيان؛فكثيرا ما يكون المحاور في موقف يترتب على حواره فيه من المفاسد والمصالح ما هو أعظم مما يترتب على حكم القضاة في بعض المسائل وعندئذ يكون التزام المحاور بهذه الآداب آكد من التزام القضاة.

ويقدم لنا النبي ﷺ قدوة في التحلي بالصبر على المحاور وعدم الغضب مهما كان قوله أو أسلوبه؛ فعندما جاءه ضمام بن ثعلبة قائلا:[٣٤٦] "إني سائلك ومغلظ في المسألة، فلا تجدن في نفسك؛ قال: لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك".وكانت النتيجة إسلامه وإسلام قومه.

****

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت

وأن ينفعني بهذا العمل، وينفع به.

---

(٣٤٦) رواه أحمد في مسنده، ١/ ٢٦٤، والدارمي في الباب ١ من كتاب الوضوء.

- وكفى الحوار الناجح أن يقرب بين وجهات النظر ولو جزئيا، فيعدل طرف ولو جزءا من رؤيته للحقيقة[٣٤٢]!

- وكفى الحوار الناجح أن يعذر بعده كلٌ صاحبه في اختلافه معه[٣٤٣]!

ومن ثمة يمكننا أن نقول إن الحوار السليم لا يضره عدم التسليم الكامل بنتائجه[٣٤٤].

* أن لا يكون المتحاور غضبانا.

يقول النبي ﷺ:[٣٤٥]"لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان"؛ وقد قاس الفقهاء على الغضب الجوع والعطش والمرض وكل ما يجعل القاضي تحت ضغط نفسي؛ ضمانا للعدل والإنصاف، والمحاور كالقاضي؛ بل

---

(٣٤٢) وقد ظهر ذلك جليا في حوار الرسول ﷺ مع عتبة بن ربيعة؛ ففي بدايته جاء عتبة ليعرض على النبي ﷺ الدنيا مقابل أن يترك رسالته وفي نهايته عاد عتبة بن ربيعة إلى قومه "بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال وراني أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم". . ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٦٢.

(٣٤٣) وقد ظهر ذلك جليا في حوار الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب والذي يقول له فيه: "يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا، فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيقُ أنا ولا أنت. فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.....فقال رسول الله ﷺ: يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه". ..... فقال أمض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا". ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٤٠.

(٣٤٤) تقول د. سميرة عبد الله البيات: "ليس الهدف من الحوار هو الاتفاق الكامل والتطابق التام، فهذا ضد طبيعة الأشياء". د.عبد العزيز قاسم: الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ص ٤٣٥. ولمزيد من التفصيلات راجع كتابنا "الحوار العقدي مع الآخر بين الرفض والقبول" مبحث رفض الحوار العقدي بدعوى توقع رفض الآخر لنتائجه.

(٣٤٥) رواه البخاري في صحيحه في باب: هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان، من كتاب الأحكام. وأحمد في المسند ٥/ ٣٦، ٣٨ ومسلم في صحيحه الحديث رقم ١٦ من كتاب الأقضية، والترمذي في صحيحه في الباب ٧ من كتاب الأحكام، والنسائي في الباب ١٨ من كتاب القضاة، وابن ماجة في الباب ٤ من كتاب الأحكام.

أهم المصادر والمراجع

نظمت المصادر والمراجع فيما يلي حسب الترتيب الألفبائي للاسم الذي اشتهر به المؤلف – إن وجد- مع صرف النظر عن (ابن، أبو، ال).

القرآن الكريم وكتب التفاسير:

- **الأصفهاني (الراغب):**
  - المفردات في غريب القرآن، د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- **البلخي (مقاتل بن سليمان):**
  - الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق ودراسة: د. عبد الله شحاته، د.ط، القاهرة: دار غريب، 2001م.
- **الرازي (الفخر):**
  - التفسير الكبير، ط1، القاهرة: التزام عبد الرحمن محمد بميدان الجامع الأزهر، د. ت.
- **السعدي (عبد الرحمن بن ناصر):**
  - تفسير السعدي المسمى بـ "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، القاهرة: مؤسسة الرسالة، 2000م.
- **الشوكاني (محمد بن علي بن محمد):**
  - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: يوسف الغوش، ط4، د.بلد نشر: دار المعرفة، 2007م.
- **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):**
  - الجامع لأحكام القرآن، د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.
- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):**
  - تفسير القرآن العظيم، د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، د.ت.

- كتب السنة النبوية وشروحها:

- **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبة):**
  - صحيح البخاري، د.ط، القاهرة: مطابع الشعب، د.ت.
- **الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة):**
  - سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1978م.
- **ابن حجَّر (الحافظ بن حجر العسقلاني):**
  - فتح الباري بشرح البخاري، د.ط، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1959م.
- **ابن حنبل (أحمد):**
  - مسند أحمد بن حنبل، ط. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت: دار صادر، د.ت.
- **الدارمي (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن):**
  - سنن الدارمي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني، د.ط، باكستان: ط حديث أكاديمي، 1984م.
- **أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني):**
  - سنن أبي داود، تعليق أحمد سعد علي، ط1، القاهرة: طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952م.
- **السيوطي (الحافظ جلال الدين):**
  - جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد، د.ط، القاهرة: طبع على نفقة السيد حسن عباس زكي، غير مخصص للبيع، د.ت.
- **ابن ماجه (أبو عبد الله بن يزيد القزويني):**
  - سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- **مالك بن أنس:**
  - الموطأ، تحقيق: محمد علوي المالكي، ط1، جدة: دار الشروق، 1985م.
- **مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):**
  - صحيح مسلم بشرح النووي، د.ط، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، د.ت.
- **النسائي (أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي):**
  - سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غده، ط2، بيروت: د. ن، 1986م.
- **النووي (محي الدين يحيى بن شرف):**
  - مسلم بشرح النووي، د.ط، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، د.ت.
- **الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر).**

- مجمع الفوائد ومنع الفوائد، د.ط، القاهرة: مكتبة القدسي، د.ت.

الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:

- **الكتاب المقدس:**
- كتاب الحياة، المطبوع مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د.ط، القاهرة: شركة ماستر ميديا، د.ت.
- طبعة جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، د.ط، بيروت، 1962.
- طبعة دار المشرق المعتمدة من بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين، ط3، بيروت، 1994.
- **مخطوطات قمران- البحر الميت (كتابات ما بين العهدين):**
- حققت بإشراف: أندريه دوبون – سومر، مارك فيلو ننكو، ترجمة وتقديم: موسى ديب الخوري، ط1، دمشق: دار الطليعة الجديدة، 1998م، وطبع الجزء الثالث عام 1999م.

صحف عربية:

- **آل الشيخ (حصة):**
- مصطلح الفتنة النصي والوهمي، مقال صحيفة الوطن السعودية، العدد 3732 بتاريخ 18/ 12/ 2010م.
- **بيشوي (الأنبا):**
- تصريح حول قبطية مصر وعروبتها، صحيفة المصري اليوم عدد (٢٢٨٥).

مصادر ومراجع متنوعة:

- **إبراهيم عبد السيد (القس):**
  - الفروق العقدية بين المذاهب النصرانية، ط2، القاهرة: مطبعة المحبة،1995م.
- **ابن الأثير:**
  - الكامل في التاريخ، د.ط، بيروت: دار صادر، 1979م.
- **أحمد زكي صفوت:**
  - جمهرة خطب العرب، د.ط، القاهرة: دار الحداثة، 2007م.
- **أوكونر (جوزيف وجون سيمون):**
  - مدخل إلى البرمجة اللغوية العصبية ، ترجمة الشركة العربية، ط1، القاهرة، الرياض: دار الميمان،2004م.
- **بكار (عبد الكريم):**
  - العيش في الزمان الصعب، ط5، دمشق: دار القلم،2010م.
- **بكار (ياسر عبد الكريم):**
  - القوة في يديك، ط2، الرياض: مكتبة العبيكان، 1430هـ.
- **تيكل (ناعومي آر):**
  - بإمكانك قراءة لغة الوجوه، ط3، الرياض: مكتبة جرير، 2009م.
- **ابن تيمية (شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم):**
  - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط5، الرياض: مكتبة الرشد، 1996م.
  - درء تعارض العقل والنقل، إعداد ودراسة: محمد السيد الجليند، إشراف ومراجعة: د. عبد الصبور شاهين، ط1، القاهرة، مؤسسة الأهرام، سلسلة تقريب التراث، مسلسل 4، 1988م.
  - شرح العقيدة الأصفهانية قدم له وعرف به: الشيخ حسنين محمد مخلوف، د.ط، القاهرة: دار الكتب الإسلامية 1966م.
  - مجموعة الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، ط2، المنصورة: دار الوفاء،2001م .
  - معارج الوصول، د.ط، القاهرة: المكتبة السلفية، 1387هـ.
  - منهاج السنة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1986م.

- **جارايت (تد):**
  - البرمجة اللغوية العصبية، تعريب: إصدارات بميك، ط2، القاهرة: سلسلة إصدارات بميك (66)، 2006م.
- **الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني):**
  - التعريفات، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، د. ط. القاهرة: دار الرشد، د.ت.
- **ابن جماعة الكناني:**
  - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- **د. جميل صليبا:**
  - المعجم الفلسفي، د.ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.
- **الجوهري (إسماعيل بن حماد):**
  - الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990م.
- **الجويني (إمام الحرمين: أبو المعالي عبد الملك):**
  - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية،1985م.
- **الحملاوي (أحمد):**
  - شذا العرف في فن الصرف، د.ط، بيروت: عالم الكتب، 2005م.
- **الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت):**
  - الفقيه والمتفقه، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1980م.
- **ابن دريد:**
  - جمهرة اللغة، ط1، حيدر أباد الدكن، د.ت.
- **ابن أبي الدنيا:**
  - كتاب الصمت وأدب اللسان، د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٠م.
- **دياموند (ماريان):**
  - العقل وأشجاره السحرية، ترجمة: د. صفاء الأعسر وآخرون، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي،2005م.
- **الذهبي (الحافظ محمد بن أحمد):**
  - سير أعلام النبلاء، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982م.

- **الرازي (أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار):**
  - "حجج القرآن"، د.ط ، بيروت: دار ابن زيدون، د.ت. . وقد حققه ودرسه: شمران سركال يونس العجلي، في رسالته للماجستر بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام 1980م.
- **ابن رجب الحنبلي:**
  - الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، د.ط، القاهرة: المكتبة القيمة، د.ت.
- **ابن رشد (أبو الوليد محمد):**
  - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تقديم وضبط وتعليق سميح دغيم، د.ط، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1994م.
- **الزبيدي:**
  - تاج العروس، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- **سازر لاند (كريستين):**
  - البرمجة اللغوية العصبية، ط1، الرياض: مكتبة جرير، 2008م.
- **الشاطبي:**
  - الاعتصام، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ،ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، وكذلك ط مطبعة المنار بمصر، 1913م.
- **ابن الشجري (هبة الله الحسيني):**
  - ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: عطية رزق، د.ط، د. بلد نشر: نشر فرانتس شتاينر، 1992م.
- **الشويعر (د. محمد بن سعد):**
  - تصحيح خطأ تاريخيّ حول الوهابية، ط4، المملكة العربية السعودية: دار الحبيب،1421هـ - 2000م.
- **ابن عبد البر (النمري القرطبي):**
  - بهجة المجالس وأنس المجالس، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
  - جامع بيان العلم وفضله، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- **د. عبد العزيز قاسم:**
  - الحوار والتقارب المذهبي في المشهد السعودي، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 2008م.
- **ابن أبي العز الدمشقي (علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي:)**
  - شرح العقيدة الطحاوية، د.ط، القاهرة: مؤسسة الرسالة 1997م
- **العسكري (أبو هلال):**

- الفروق اللغوية، د.ط، القاهرة: مكتبة القدس، 1353هـ.

- **العفاني (د. سيد بن حسين):**
- واقدساه، ط١، بني سويف: مكتبة معاذ بن جبل، ٢٠٠١م.

- **العميريني (د. علي بن عبد العزيز):**
- الإسلام والتفرقة العنصرية، ط1، الرياض: مكتبة التوبة،1990م.

- **عياض (القاضي أبو الفضل عياض بن موسى السبتي):**
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي د.ط، الرباط: وزارة الأوقاف المغربية،1965.

- **أبو العيد (عاطف):**
- لغة الجسد، د.ط، الإسكندرية: دار الدعوة، 2006م.

- **الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد):**
- إحياء علوم الدين، د.ط، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.
- الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

- **ابن فارس (أحمد):**
- الصاحبي في فقه اللغة، د.ط، القاهرة: د.ن، 1328هـ.
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت.

- **أبوفرحة (د. جمال الحسيني):**
- التاو (ديانة وفلسفة)، ط1، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2010م.
- الحوار العقدي مع الآخر بين الرفض والقبول (تحت لطبع).
- الكنيسة المارونية (الواقع والتاريخ). ط1، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2004 م.
- ميزان النبوة: المعجزة، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1998م.
- النبي الخاتم؛ هل وجد؟ ومن يكون؟، القاهرة: ط1، مركز الحضارة العربية، 2003م.

- **الفيروزابادي (مجد الدين):**
- القاموس المحيط ، مصر: د.ط، المكتبة التجارية الكبرى،1931م.

- **القارافي (شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي):**
- الأجوبة الفاخرة، د.ط، د. بلد نشر: دار السعد العربي، د.ت.

- **ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):**

- تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، ط2، القاهرة: دار التراث، 1973م.

- **القرضاوي (د. يوسف):**
  - الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2006م.

- **قوجمان (ي):**
  - قاموس عبري عربي، د.ط، بيروت: مكتبة المحتسب، توزيع دار الجيل، 1970م.

- **ابن قيم الجوزية:**
  - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، د.ط، بيروت: دار الجيل، 1973م.

- **ابن كثير:**
  - البداية والنهاية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،1985م. .

- **الكرمي (حسن سعيد):**
  - المغني الأكبر، د.ط، بيروت: مكتبة لبنان،1995م.

- **مصطفى صبري:**
  - القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون،[مختصر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين]، د.ط، القاهرة: دار السلام، 1986م.

- **المقدسي (محمد بن مفلح بن محمد):**
  - الآداب الشرعية والمنح المرعية، د.ط، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

- **ابن منظور:**
  - لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، د. ت.

- **أبو نعيم (الحافظ):**
  - حلية الأولياء، ط1، القاهرة: مطبعة السعادة، 1971م.

- **هاريس (كارول):**
  - البرمجة اللغوية العصبية، ط5، الرياض: مكتبة جرير، 2007م .

- **ابن هشام:**
  - السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، د.ط، القاهرة: ط. مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

المراجع الأجنبية:

كتابات مقدسة:

- La Bible, traduite de l'hebreu et du gres en français courant, Alliance Biblique Universelle 1984.

- Good News Bible, With Deuterocanonical Books / Apocrypha, Today's English Version, catholic edition, published by the Bible Society of India 1979.

- The Holy Bible, King Jams Version, Regency Publishing Hous, copyright © New York 1973.

- The Holy Bible, New International Version, International Bible Society, copyright © U.S.A.1984.

مراجع متنوعة:

- Anthony Kenny ,What is Faith, New York, Oxford University Press, 1992.

- Atlas Global Center For Studies & Researches, Atlas Encyclopedic Dictionary, Cairo, Atlas publishing House, 2002

- Charles H. Coates: The Red Theology in The Far East. Chas. J. Thynne & Jarvis, Ltd, London.

- Elias A. Elias & Ed. E. Elias, Elias' Modern Dictionary, English- Arabic, 26th Edition, cairo, 1983

- Mehrabian Wadsworth ,Silent Messages, Belmont, California, 1971 -

- A S Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English, Fourth Edition, Chief Editor: A P Cowie, Oxford University Press, 1989.

- Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, Merriam Webster Inc., Publishers U.S.A. 1991.

مواقع على الشبكة العنكبوتية:

http://almenhaj.net/makal.php?linkid=348

عبد الرحمن بن حسن المحسني: الترادف بين الإنكار والإثبات، مقال تم الرجوع إليه بتاريخ 30/3/2011

http://almenhaj.net/makal.php?linkid=3103

ابن يوسف العمري مقال بعنوان: (تصحيح زيادة: "وكل ضلالة في النار").

مقال تم الرجوع إليه بتاريخ 8/8/2011

http://www.almeshkat.net/books/open.php?book=1179&cat=12

ابن أبي الوفا: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية تم الرجوع إليه بتاريخ 8/8/2011

http://babaev.tripod.com/archive/grammar42.html

(Cyril Babaev: Old English Language Grammar) تم الرجوع إليه بتاريخ 14/8/2010

www.hespress.com/?browser=view&EgyxpID=8695

تم الرجوع إليه بتاريخ 12/4/2010

http://majlishoceima.net/portail/index.php?option=com_content&view=article&id=41:2011-05-10-05-04-46&catid=49:2011-04-18-23-43-13&Itemid=91

مقال د:عبد الخالد الرحموني، التسامح الإسلامي: رؤية تأصيلية، مقال على موقع المجلس العلمي المحلي للحسيمة (بالغرب) تم الرجوع إليه بتاريخ 6/8/2011

http://www.shibreqah.net/articles.php?action=show&id=4353

(د. محمد بن سالم الغامدي: فتح الذرائع، مقال تم الرجوع إليه بتاريخ 14/7/1431)

http://st-takla.org/Prayers-Slawat/Pray-Archive-01-10/Coptic

تم الرجوع إليه بتاريخ25/3/2011

فهرس

- مقدمة. ٤
- الحوار بين اللغة والاصطلاح. ٦
- أهم أصول الحوار: ٩

- تمهيد. ١٠

* الأهلية المعرفية، أو العلمية. ١١

* تحرير محل النزاع. ١٣

ومن وسائل تحقيقه: ١٣

- تفنيد وجهة النظر المرفوضة قبل طرح الأدلة على وجهة النظر المقبولة. ١٣

- التعامل مع الخبر الصحيح باعتباره دليلا غير كاف على صدق دعوى المستدل به. ١٤

-الاستيثاق من تحقق التفاهم اللغوي السليم. ١٧

ومن أهم الأخطاء في ذلك: ١٧

- أولا: الجهل بلغة الآخر. ١٨
- ثانيا: الخلط بين المعاني اللغوية. ٢٢
- ثالثا: الخلط بين المعاني الاصطلاحية. ٢٥
- رابعا: الخلط بين المعاني المجازية. ٢٨
- خامسا: الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي. ٣٠

- **سادسا:** الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي: ٣٥
- **سابعا:** الخلط بين معاني الألفاظ والعبارات في اللهجات المختلفة. ٣٩
- **ثامنا:** الغموض اللغوي الناشئ عن الحذف: ٤١
أ- عدم تحديد الاسم أو الفعل المعني بالحديث. ٤١
ب- استخدام صيغ المقارنة دون ذكر المقارَن به. ٤١
ج- استخدام المصادر. ٤٢
- **تاسعا:** اشتراك عود الضمير. ٤٢

*** التثبت.** ٤٢

*** المساواة بين المتحاورين في فرصة إبداء الرأي.** ٤٤

*** حسن الاستماع للمتحاور معه.** ٤٥

*** الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مسلمة.** ٥٠

*** تجنب المصادرة على المطلوب.** ٥١

*** التفرقة بين الرأي وصاحبه.** ٥٣

*** ألا تتناقض الأدلة المزعومة.** ٥٧

*** أن تتناسب قوة الاعتقاد مع قوة الدليل.** ٥٧

*** تجنب استخدام العبارات الحماسية عوضا عن الدليل.** ٦٠

*** تجنب إصدار الأحكام الجزافية والافتراضات المسبقة.** ٦١

*** تجنب استخدام التكافؤ المتوهَّم بين كلمتين أو عبارتين.** ٦٣

*** تجنب جمع المسائل في مسألة واحدة.** ٦٣

*** تجنب حصر الجواب في وجهين.** ٦٤

*** تجنب استخدام صيغ الإمكان والاستحالة بطريقة غير صحيحة.** ٦٤

* تجنب استخدام صيغ الضرورة بطريقة غير صحيحة. ٦٤
* تجنب استخدام أدوات التعميم بطريقة غير صحيحة. ٦٥-
* تجنب المبالغة في زعم أو في إهمال قراءة الأفكار ٦٦

• أهم آداب الحوار. ٧٦-
٧٧
- تمهيد.
* الرفق واللين. ٧٨
* المساواة بين المتحاورين في اعتبار حيازة الحقيقة. ٧٩
* إنزال الناس منازلهم. ٨٧
* البدء بنقاط الاتفاق والتدرج في الحوار. ٨٩
* الإقبال على المتحاور معه. ٨٩
* غض الصوت. ٩٠
* تجنب الإملال. ٩١
* فصل الكلام وبيانه. ٩٣
* التسليم بنتائج الحوار. ٩٣
* أن لا يكون المتحاور غضبانا. ٩٤
• خاتمة. ٩٦
• أهم المصادر والمراجع. ٩٧
• الفهرس. ١٠٩

مطابع جامعة المنوفية